T.C.

BİNGÖL ÜNİVERSİTESİ

SOSYAL BİLİMLER ENSTİTÜSÜ

TEMEL İSLAM BİLİMLERİ ANABİLİM DALI

KUR'AN-I KERÎM'DE HÎTAP BELAGATİ
(TASİN SURELERİ ÖRNEĞİNDE)

Hazırlayan
Kawther Mahmood Ahmed SHWAN

YÜKSEK LİSANS TEZİ

Danışman
Yrd. Doç. Dr. Husain ASWAD

Bingöl – 2017

T.C.
BİNGÖL ÜNİVERSİTESİ
SOSYAL BİLİMLER ENSTİTÜSÜ
TEMEL İSLAM BİLİMLERİ ANABİLİM DALI
ARAP DİLİ VE BELAGATI BİLİM DALI

KUR'AN-I KERÎM'DE HÎTAP BELAGATİ
(TASİN SURELERI ÖRNEĞİNDE)

Hazırlayan
Kawther Mahmood Ahmed SHWAN

YÜKSEK LİSANS TEZİ

Danışman
Yrd. Doç. Dr. Husain ASWAD

Bingöl – 2017

الجمهـورية التركية
جامــعة بينغول
معهد العلـوم الإجتماعية
قسـم اللغة العربية

بلاغة الخطاب في سورالطواسين

رسالة ماجستير

إعداد
الطـالبة/ كوثرمحمود أحمد

إشراف
الأستاذ الدكتور حســـين أســـود

بينغول -2017

المحتويات

الموضوعات	الصّفحة
المحتويات	I - II
المقدّمة	III
الملخص باللغة التركية (Özet)	IV
الملخص باللغة الإنكليزية **(**Abstract**)**	V
الملخص باللغة العربية	VII
المختصرات (Kısaltmalar)	IX
المدخل	1
أولاً: البلاغة في اللغة العربية	2
ثانياً: مفهوم الخطاب	6
ثالثاً: المقصود بالطواسين	12
الفصل الأول: بلاغة الخطاب في سورة الشعراء	20
1. مظاهر بلاغة خطاب الله للنبي محمد (صلى الله عليه وسلم) ولموسى (عليه السلام)	21
2. مظاهر بلاغة خطاب الأنبياء لاقوامهم	32
3. مظاهر بلاغة خطاب الله لغير معين	57
الفصل الثاني: بلاغة الخطاب في سورة النمل	59
1. بلاغة خطاب النملة مع قومها	60
2. خطاب الهدهد مع النبي سليمان (عليه السلام)	64
3. خطاب سليمان (عليه السلام) للملكة سبأ	69
4. خطاب ملكة بلقيس لأشراف قومها	72
5. خطاب سليمان عليه السلام مع أشراف قومه	75

الفصل الثالث : بلاغة الخطاب في سورة القصص	81
1. خطاب المرأة	82
2. خطاب الله للمشركين	92
3. قصة قارون	96
4. قصة نبيِّنا محمد (صلّى الله عليه وسلم) مع قومه	104
الخاتمة	106
المصادر والمراجع	108

BİLİMSEL ETİK BİLDİRİMİ

Yüksek Lisans tezi olarak hazırladığım, (**Kur'an-i Kerim'de Hitap Belagatı (Tasin Sureleri Örneğinde)** adlı çalışmanın öneri aşamasından sonuçlanmasına kadar geçen süreçte bilimsel etiğe ve akademik kurallara özenle uyduğumu, tez içindeki tüm bilgileri bilimsel ahlak ve gelenek çerçevesinde elde ettiğimi, tez yazım kurallarına uygun olarak hazırladığım bu çalışmamda doğrudan veya dolaylı olarak yaptığım her alıntıya kaynak gösterdiğimi ve yararlandığım eserlerin kaynakçada gösterilenlerden oluştuğunu beyan ederim.

7/ 12 /2017

İmza

Kawther Mahmood Ahmed

BİNGÖL ÜNİVERSİTESİ

SOSYAL BİLİMLER ENSTİTÜSÜ MÜDÜRLÜĞÜNE

Kawther Mahmood Ahmed tarafından hazırlanan "**Kur'an-I Kerım'de Hıtap Belagatı (Tasın Sureleı Örneğında)**" başlıklı bu çalışma, / /2017 tarihinde yapılan tez savunma sınavı sonucunda başarılı bulunarak jürimiz tarafından Temel İslam Bilimleri Arap Dili ve Belagatı Anabilim Dalı'nda Yüksek Lisans tezi olarak kabul edilmiştir.

TEZ JÜRİSİ ÜYELERİ (Ünvanı, Adı ve Soyadı)

Başkan: İmza: ……..……

Danışman: Yrd.Doç. Dr. Husaın ASWA D İmza: …….....

Üye : İmza: ……..…….....

ONAY

Bu Tez, Bingöl Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü Yönetim Kurulunun / / 2017 tarih ve ..... sayılı oturumunda belirlenen jüri tarafından kabul edilmiştir.

Doç. Dr. Yaşar BAş

Enstitü Müdürü

المُقدِّمــة

إن لغتنا العربية لغة القرآن الكريم كانت ومازالت لغة الجمال والذوق الرفيع، وقد كانت منذ نشأتها لغة الأدب والعلم استخدمها الشعراء والأدباء منذ القدم،وقدموا لنا تراثاً أدبياً وشعرياً خُلِّد قائلوه على مدى العصور، وقد كُتب لهذه اللغة أن تعيش وتبقى، كيف لا وقد حفظها الله تعالى ، حيث جعلها لغة القرآن الكريم، كقوله تعالى: **{إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ }** [الحجر: 9]، لغة القرآن التي اتصفت بالبلاغة، وهي التى تراعي أن يكون الكلام مطابقاً لمقتضى الحال، فتراعي الموقف، وتراعي حال المخاطب، فهي تطيل في الكلام ، وتسهب إذا اقتضى الكلام ذلك ،القرآن الكريم كلام الله المعجز وهو مليء بالخطابات المتجة الى المخلوقات قاطبة و الأنسان خاصةً، مرة يخاطبه بيا أيها الناس، و مرة بيا بني آدم ، وبيا أيها الذين آمنوا بأسلوب البلاغي الرفي، والخطاب من الله إما خطاب أمر أو نهي وتوجيه الكلام نحو الغير للإفهام .

لقد تحدث العلماء حول الخطاب في هذه السور الثلاث، وهي مليئة بصور الخطاب و تجلياته وأنماطه التي نلمسها عند قراءتنا لها بالتدبر والتفكير، فالقرآن الكريم يؤسس المعرفة الخطابية والقراءة المتأنية للقرآن تولد لدى القارئ الحس الجمالي لما تمتاز به الخطابات القرآنية ولاسيما الموجود في ثنايا هذه السور التي اخترتُها لكي أغوص فيها داخل هذا البحر العميق و أستخرج منها الخطاب البلاغي و أدعو الله القدير أن يوفقني في اقتناص هذه الخطابات. و لقد قمتُ بمراجعة الكتب والمصادر حول موضوع بلاغة الخطاب،وخلال البحث واجهني صعوبات عدة لأن الموضوع جديد ومراجعه شحيحة وموضوع بلاغة الخطاب يحتاج الى دقة أكثر لتحديد المواضع الخطابية.

أما المنهج الذي اتبعته في هذا البحث فهو المنهج الوصفي التحليلي في تناول الآيات في سور الطواسين لذلك جاء هذا البحث مشتملاً على المقدمة والملخص والمدخل وثلاثة فصول، وتحدثتُ في المدخل عن البلاغة في اللغة العربية أولاً، ثم مفهوم الخطاب، وآخر الحديث كان عن المقصود بالطواسين.

أمّا الفصل الأول فهو يتكون من: **بلاغة الخطاب في سورة الشعراء**، ويشتملُ على ما يلي:

1. **مظاهر بلاغة خطاب الله للنبي محمد (صلى الله عليه وسلم) ولموسى (عليه السلام)**
2. **مظاهر بلاغة خطاب الأنبياء مع أقوامهم**

أ- المظاهر البلاغية في خطاب النبي موسى (عليه السلام) مع قومه
ب- المظاهر البلاغية في خطاب النبي إبراهيم (عليه السلام) مع قومه
ت- المظاهر البلاغية في خطاب النبي نوح (عليه السلام) مع قومه
ث- المظاهر البلاغية في خطاب النبي هود (عليه السلام) مع قومه
ج- المظاهر البلاغية في خطاب النبى صالح (عليه السلام) مع قومه
ح- المظاهر البلاغية في خطاب النبي لوط (عليه السلام) مع قومه
خ- المظاهر البلاغية في خطاب النبي شعيب (عليه السلام) مع قومه

3. **مظاهر بلاغة خطاب الله لغير معين**

أمّا الفصل الثاني فهو: **بلاغة الخطاب في سورة النمل** و يشتملُ على مايلي:

1. **بلاغة خطاب النملة مع قومها**
2. **خطاب الهدهد مع النبي سليمان (عليه السلام)**
3. **خطاب سليمان (عليه السلام) للملكة سبأ**
4. **خطاب ملكة بلقيس لأشراف قومها**
5. **خطاب سليمان عليه السلام لأشراف قومه**

و الفصل الثالث يتكون من: **بلاغة الخطاب في سورة القصص**، ويشتملُ على مايلي:

1. **خطاب المرأة**

أ -خطاب الله تعالى موجه إلى أم موسى (عليه السلام)
ب -مخاطبة أخت موسى (عليه السلام) لحاشية فرعون
ت -مخاطبة آسيا لفرعون

ث - مخاطبة ابنتي شعيب مع شعيب وموسى(عليهم السلام)

2. خطاب الله للمشركين:

3. قصة قارون:

أ - بغيه على قوم موسى واغتراره بماله

ب - بعض مظاهر بغي قارون وكبريائه

4. قصة نبيّنا محمد (صلّى الله عليه وسلم) مع قومه

Özet

'Kur'an-ı Kerım'de Hitap Belagatı (Tasın Sureleri Örneğinde)' isimli çalışmada Tevâsîn sureleri ekseninde Kur'ân'daki hitap türlerinin belagî yönlerini açıklamaya çalıştık. Kur'ân'daki hitap türlerini üslub, belâgat, kullanım şekli ve çeşitliliği açısından araştıranlar Kur'ân'ın özgün yönlerini ve mucizevî yüzünü apaçık bir şekilde göreceklerdir. Bu özgünlük ayrı coğrafyalarda yaşayan farklı cins ve ırklara sahip muhatapların tümünü kapsamasıyla açıklanabilir.

Ayetlerinin derinlemesine incelenmesi ve tefekkürle okunması durumunda Kur'âni hitapların çağrı ve davetinde kuşatıcı olduğu görülür. Şöyle ki Kur'ân, çağrılarını belli bir gruba, ırka millete, dine veya dile tahsis etmemiştir. Bilakis müntesibi oldukları dine ve ırka bakmaksızın âlemdeki tüm grupları kuşatmıştır.

Ayrıca Yüce Allah Kur'ân'ın bazı ayetlerinde insanlığa genel ifadelerle hitap ettiği gibi başka ayetlerde özelde peygamberlere çağrıda bulunmuş veya insanları mümin veya inkarcı gibi belli gruplara ayırarak hitapta bulunmuştur. Diğer yandan münafıklara da işaretlerde bulunmuştur. Kur'ân'ın hitabındaki bu farklılığın hikmeti ayetlerinin irdelenmesi ile bilinebilir.

Anahtar kelimeler: Belâgat, Hitap, Şairler, Karinca, Hikayeler.

Abstract

We have tried through this research to show the aspects of rhetorical Discourse in the Quran in Surah (Altawasin), who hopes the Qur'an discourse in its style and rhetoric, and in its management and diversification. Identified him a wonderful face of the Quran miracles, and special characteristics of the surah, Koranic of all types of the callers, of all races, and places, and boredom

The Qur'an discourse, when we consider the verses of the Qur'an, we see that in its appeals and directives it is comprehensive: it did not make its appeal to a category without a class, a gender without a race, or a religion, but the discourse of the worlds of those who spoke to the diversity of their races, tongues and religions Which they condemn

He addressed the people in general terms in some verses of the Qur'an, and addressed the prophets and messengers - peace be upon them - in some others, addressed the types of people of believers and infidels and polytheists, and referred to the hypocrites in other verses, and this is known to trace and extrapolate to the verses of the Qur'an

Key expressions: Declaration, Speaking, Poets, Ant, Stories.

المُلخص باللغة العربية

حاولنا من خلال هذا البحث أن نبيِّن جوانب بلاغة الخطاب في القرآن الكريم في سور (الطواسين)، فمَن تأمَّل الخطاب القرآني في أسلوبه وبلاغته، وفي تصريفه وتنويعه، استبان له وجهٌ بديع من أوجه الإعجاز القرآني، وخصِّيصةٌ من خصائصه الأكيدة، وبيان ذلك في شمولية الخطاب القرآني لجميع أصناف المخاطبين، على اختلاف أجناسهم، وأمكنتهم، ومللهم.

والخطاب القرآني حينما نتدبَّر ونستقْرئ آيات القرآن، نرى أنَّه في نداءاته وتوجيهاته يتَّسم بالشمول؛ حيث إنَّه لم يجعل نداءه إلى فئةٍ دون فئة، أو جنسٍ دون جنس، أو أهل دينٍ دون غيرهم، بل شمل ذلك الخطاب أصناف العالمين من المخاطبين على تنوُّع أجناسهم وألسنتهم وأديانهم التي يدينون بها.

فقد خاطب الله - سبحانه - النَّاس بصيغة العموم في بعض آيات القرآن، وخاطب الأنبياء والمرسلين - عليهم السلام - في بعض آخر، وخاطب أصناف النَّاس من المؤمنين والكفَّار والمشركين، وأشار إلى المنافقين في آيات أخرى، وهذا الأمر يعلم بالتتبُّع والاستقراء لآيات القرآن الكريم.

الكلمات المفتاحية: البلاغة، الخطاب، الشعراء، النمل، القصص .

المختصرات (Kısaltmalar)

د . ط : الكتاب بدون طبعة

ت. ط : الكتاب بدون تاريخ النشر

د . ن : الكتاب بدون دار النشر

ط : الطبعة

ص : الصفحة

م : السنة الميلادية

هـ : السنة الهجرية

ت : سنة الوفاة

المدخل

أولاً : البلاغة في اللغة العربية

ثانياً : مفهوم الخطاب

ثالثاً : المقصود بالطواسين

أولاً: البلاغة في اللغة العربية

أ- تعريف البلاغة لغة واصطلاحاً

البلاغة عند أهل اللغة : جاء في لسان العرب: بلغ الشيء يبلغ بلوغاً وبلاغاً: وصل وانتهى، وتبلغ بالشيء: وصل إلى مراده، الإبلاغ: الإيصال، بلغت المكان بلوغاً: وصلت إليه، وكذلك إذا شارفت عليه[1]، وبلغ: الباء واللام والغين أصل واحد وهو الوصول إلى الشيء[2] . وبلغ الشيء يبلغ بلوغاً، وأبلغته إبلاغاً، وبلغته تبليغاً في الرسالة ونحوها[3] .

مما يريد التعبير عنه وتوصيله لمن يريد إبلاغه مافي نفسه، وأصل مادة الكلمة في اللغة تدور حول وصول الشيء إلى غايته ونهايته، أو إيصال الشيء إلى غايته ونهايته[4].

وفي الإصطلاح : هي حسن الكلام مع فصاحته وأدائه لغاية المعنى المراد، والرجل البليغ، هو من كان فصيحاً حَسَنَ الكلام يبلغ بعبارة لسانه غاية المعاني التي في نفسه[5] .

وجاء في معجم المصطلحات العربيه بأن البلاغة (هي مطابقة الكلام الفصيح لمقتضى الحال، فلابد فيها من التفكير في المعاني الصادقة القيمة القوية المبتكرة منسقة حسنة الترتيب، مع توخِّي الدقة في انتقاء الكلمات والأساليب على حسب مواطن الكلام ومواقعه وموضوعاته وحال من يكتب لهم أو يلقى إليهم)[6] .

---

(1) أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، ، بيروت ،ط 1 ، 1997م، م 1، ص 246.

(2) أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق، عبد السلام محمد هارون، ط 2، 1979 م، ج 1، ص 301.

(3) الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق، عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت ،ط 1، 2003 ، ص 161.

(4) عبدالرحمن حسن حبنّكة الميداني، البلاغة العربية وأسسها وعلومها، وفنونها، دار الشامية، بيروت، ط 3 ،2010م، ج 1، ص 128.

(5) مصدر نفسه، ج 1، ص 128.

(6) مجدي وهبة، وكامل المهندس، **معجم المصطلحات العربية**، مكتبة لبنان، بيروت، ط 2، 1984م ، ص 79.

أما البلاغة في الكلام : فهي مطابقته لمقتضى الحال، والمراد بالحال الأمر الداعي إلى التكلم على وجه مخصوص مع فصاحته أي فصاحة الكلام، والبلاغة في المتكلم : ملكة يقتدر بها على تأليف كلام بليغ، فعلم أن كل بليغ كلاماً كان أو متكلماً فصيح، لأن الفصاحة مأخوذة في تعريف البلاغة، وليس كل فصيح بليغاً، وقيل البلاغة: تنبئ عن الوصول والانتهاء، يوصف بها الكلام والمتكلم فقط دون المفرد[7] .

وفسرّ الراغب الأصفهاني (ت : 502هـ) البلاغة على وجهين:

أحدهما: أن يكون بذاته بليغاً وذلك بأن يجمع ثلاثة أوصاف: صواباً في موضوع لغته، وطبقاً للمعنى، وصدقاً في نفسه.

والثاني: أن يكون بليغاً باعتبار القائل والمقول له وهو أن يقصد القائل أمراً فيرده على وجه حقيق أن يقبله المقول له[8] .

وقد جاء في القرآن الكريم بهذين المعنيين، فمن الأول قوله تعالى: **(وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّ)**[يوسف 22] ، وهذا هو الوصول والإنتهاء، أما معنى الثاني فكقوله تعالى **{فأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا}** [النساء 63] **اي:** أن يكون بليغاً بالنظر إلى صاحب البلاغ والقول له، وهو ان القصد القائل أمراً فيرده على وجه حقيق أن يقبله المقول له .

ب- عناصر البلاغة:

إنّ البلاغة ترجع في أصولها العامة إلى تحقق العناصر الستة التالية:

1. الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد[9] .
2. الالتزام بما ثبت في متن اللغة وقواعد النحو والصرف، واختيار الفصيح من المفردات والجمل والقواعد.

---

(7) علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، **معجم التعريفات**، تحقيق محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، ط. د، ص 42- 43 .

(8) أبي القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط. د، ج 1، ص 77.

(9) سعدالدين مسعود بن عمر التفتازاني، المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، تحقيق عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ط 3 ، بيروت، 2013 م، ص 18.

3. الاحتراز عن التعقيد في أداء المعاني المراده، سواء من جهة اللفظ أو من جهة المعنى.
4. انتقاء الكلمات والعبارات الجميلة، التي يدرك جمالها الحس المرهف، والذوق الرفيع لدى البلغاء.
5. صيد المعاني الجميلة، وتقديمها في قوالب لفظية ذات جمال.
6. تزيين الكلام بالمحسنات التي تستثير إعجاب الخاطبين[10] .

ج- أقسام البلاغة:

قسم البلاغيون علوم البلاغة إلى ثلاثة أقسام هي:

1. **علم المعاني:** عرفه السكاكي (ت : 626هـ) بقوله: (هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة، وما يتصل بها من الاستحسان وغيره، ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره)[11]، وهو العلم الذي يتناول أحوال الجملة من حيث: الإسناد الخبري وأحوال المسند إليه وأحوال المسند، وأحوال متعلقات الفعل، والقصر، والإنشاء والفعل والوصل، والإيجاز والإطناب والمساواة، لان الكلام إما خبرٌ أو إنشاء، لأنه إذا كان لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه، فخبر و إلاّ فإنشاء ، والخبر لابد له من مسند إليه ومسند وإسناد والمسند قد يكون له متعلقات إذا كان فعلاً أو معناه، وكل من الإسناد والتعليق إما بقصر أو بغير قصر. وكل جملة قرنت بأخرى إما معطوفة عليها أو غير معطوفة، والكلام البليغ إما زائد على أصل المراد لفائدة أو غير زائد[12] .
2. **علم البيان:** وهو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة[13] ، وعرّف الجرجاني (ت 1413هـ) البيان : بأنه (عبارة عن إظهار المتكلم المراد للسامع)[14] ، والبيان ما يبين به الشيء من الدلالة وغيرها، وبأن الشيء أتضح فهو بين، واستبان

(10) حبنكة الميداني ، المصدر السابق، ج 1، ص 131-132؛ وانظر ابن عبدالله أحمد شعيب، وبحوث منهجية في علوم البلاغة العربية، دار إبن حزم ، بيروت، ط 1، 2008م، ص 35.

(11) يوسف ابن أبي بكر محمد السكاكي، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1،1983م ، ص 161.

(12) محمد بن عبدالرحمن القزويني ، تلخيص المفتاح مكتبة البشرى، كراجي، ط 1، 2010م، ص 12-13.

(13) مجدي وهبة، كامل مهندس، المصدر السابق، ص 80.

(14) الجرجاني، المصدر السابق، ص 43.

الشيء: ظهر، والبيان الفصاحة واللسان، وكلام بين: فصيح، والإفصاح مع ذكاء والبين من الرجال: الفصيح والسمح اللسان، وفلان أبين من فلان أي أفصح منه وأوضح كلاماً والبيان: إظهار المقصود بأبلغ لفظ وهو من حسن الفهم وذكاء القلب مع اللسن وأصله الكشف والظهور[15] ، وهكذا أضحت موضوعات علم البيان تتناول التشبيه: طبيعته، أركانه، أنواعه، أقسامه، أغراضه. والحقيقة والمجاز المفرد والمركب، والاستعارة وعلاقتها بالمجاز، والفرق بين التشبيه والإستعارة، وأقسام الاستعارة، وخصائصها، ومزايا البلاغية، ووظائفها الجمالية، والكناية وأقسامها وعلاقتها والفرق بين الكناية والتعريض، واجتماع التعريض المجاز والرمز والإشارة، وبلاغة الكناية وسر جمالها.

3. **علم البديع:** هو علم يعرف به وجوه[16] تفيد الحسن في الكلام بعد رعاية المطابقة لمقتضى المقام ووضوح الدلالة على المرام، وهذا العلم بعد مرتبة علمي المعاني، والبيان حتى إنّ بعظهم لم يجعله علماً على حدة وجعله ذيلاً لهما لكن تأخر رتبته لايمنع كونه علماً مستقلاً ولو اعتبر ذلك لما كان كثير من العلوم علماً على حدة فتأمل، وظهر من هذا موضوعه وغرضه وغايته وأما منفعته فإظهار رونق الكلام حتى يلج الآذان بغير إذن ويتعلق بالقلب من غير كد، وإنما دوّنوا هذا العلم لأن الأصل، وإن كان الحسن الذاتي ، وكان المعاني والبيان مما لا يكفي في تحصيله لكنهم اعتنوا بشأن الحسن العرضي أيضاً، لأن الحسناء إذا عريت عن المزينات ربما يذهل بعض القاصرين عن تتبع محاسنها فيفوت التمتع بها[17] .

وجعل هذه المحسنات نوعين:

1. محسنات معنوية: وهي التي يكون التحسين فيها راجعاً إلى المعنى أولاً وبالذات، ويتبعه تحسين اللفظ ثانياً، وبالعرض وتشمل: الطباق والمقابلة ومراعاة النظير وائتلاف اللفظ مع المعنى، والإبداع والمبالغة والاستطراد والمذهب الكلامي والمشاكلة وتجاهل العارف والتأكيد المدح بما يشبه الذم وعكسه، واللف والنشر وصحة الأقسام

(15) أحمد مطلوب، المصدر السابق، ص 406 -407.

(16) أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، جواهر البلاغة في أدبيات وإنشاء لغة العرب، ط 1، 2008م، ج 1، ص 232 .

(17) مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، المحقق، محمد شرف الدين بالنقايا، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط . د، م 1، ص 232.

والجمع والتفريق التقسيم والاستقصاء والتوجيه، والتورية والاستخدام، والمزاوجة وحسن التعليل، والتجريد والإستدراج، والإدماج والهزل الذي يراد به الجد والإطراد.

2. ومحسنات لفظية: وهي التي يكون التحسن فيها راجعاً إلى اللفظ أولاً ويتبعه تحسين المعنى ثانياً، أو بالعرض فتشمل: السجع ولزوم مالا يلزم والجناس ورد الإعجاز على الصدور والموازنة والتشريع والقلب وغيرها[18].

ثانياً : مفهوم الخطاب:

الخطاب أحد مصدري فعل خاطب يخاطب خطاباً ومخاطبة وهو يدلّ على توجيه الكلام لمن يفهم، ونقل من الدلالة على الحدث المجرد عن الزمن إلى الدلالة على الاسمية، فأصبح في عرف الأصوليين يدل على ما خوطب به وهو الكلام[19].

وجاء في لسان العرب في مادة (خطب) الخطب: الشأن أو الأمر، صغر أو عظم، وقيل: هو سبب الأمر، يقال ما خطبك ؟ أي: ما أمرك؟ وتقول هذا خطب جليل، وخطب يسير، والخطب: الأمر الذي تقع فيه المخاطبة، والشأن والحال، ومنه قولهم: الخَطْب عِظَمُ الأمر والشأن[20]، والخطاب: مراجعة الكلام، والخطبة : مصدر الخطيب [21]، ولايجوز إلا على وجه، وهو أن الخطبة اسم للكلام الذي يتكلم به الخطيب، فتوضع موضع المصدر، والعرب تقول: فلان خطب فلانة: إذا كان يخطبها[22].

---

(18) أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 3،1993م ،ص 318.

(19) إدريس حمادي، الخطاب الشرعي طرق استثمار، المركز الثقافي العربي، ط 1، 1994م، ص 21.

(20) إبن منظور ، المصدر السابق، ج 2، ص 275.

(21) الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق، عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1،2003م، ج 1، ص 419.

(22) أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، تهذيب الأسماء واللغات، تحقيق، علي محمد معوض، عادل أحمد عبدالموجود، دار النفائس، بيروت، ط 1، 2005 م، ص 127.

وجاء في القاموس المحيط (خطب) الخاطب على المنبر خطابة، بالفتح، وخطبة، بالضم، أو هي الكلام المنثور، المسجع ونحوه[23] .

وخطب: الخطب والمخاطبة والتخاطب المراجعة في الكلام، ومنه الخُطبة والخِطبة لكن الخُطبة تختص بالموعظة والخِطبة بطلب المرأة، قال تعالى: {**وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ**} [البقرة 235].

وأصل الخطبة: خاطب و خطيب، ومن الخطبة: خاطب لاغير والفعل منهما خطب والخطب الأمر العظيم الذي يكثر في التخاطب[24] ، وقوله تعالى: {**قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ** } [طه: 95] ، و {**قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ**} [الحجر:57]

والخطاب: هو توجيه الكلام إلى الغير ويكون منطوقاً أو مكتوباً، وخطابات، وخطب ويكون فعل خطب أيضاً بمعنى عبر عن رغبته في الزواج من امرأة بعينها[25] .

الخطاب في الاصطلاح:

عرف الجرجاني الخطابة : بأنها قياس مركب من مقدمات مقبولة أو مظنونة من شخص معتمد فيه، والغرض منها ترغيب الناس فيما ينفعهم من أمور معاشهم ومعادهم كما يفعل الخطباء الوعاظ [26] .

وعرّف الآمدي الخطاب بقوله: (إنه اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه) فاحترز باللفظ عن الحركات والإشارات المفهمة بالمواضعة وبالمتواضع عليه عن الأقوال المهملة) [27].

(23) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط ، محقق، أنس محمد الشامي، وزكريا جابر أحمد، دار الحديث ، القاهرة، ط . د، 2008 م ، ص 478 .

(24) الراغب الأصفهاني، المصدر السابق، ج 1، ص 200.

(25) عبدالحق الكتابي، المغني معجم اللغة العربية، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 2، 2012 م ، ص 126.

(26) الجرجاني، المصدر السابق، ص 87.

(27) علي بن محمد الآمدي، الأحكام في أصول الأحكام، دار الصميعي،، ط 1، 2003م، ج 1، ص 132.

أما عند أيوب بن موسى الكفوي، (ت 1094هـ)، (فقد حمل الخطاب مفهوماً أكثر شمولاً، لاينحصر في الدلالة الظاهرة فقط، وانما أعتبر الكلام النفسي جزءاً لايتجزأ من الخطاب، ومن ثم يتحتم أخذه بالحسبان، فقال: الكلام اللفظي أو النفسي الموجه نحو الغير للإفهام)[28].

وحاول محمد علي الفاروقي التهاوني،(ت 1158هـ) أن يربط المعنى اللغوي لمصطلح (الخطاب) بمعناه الاصطلاحي إذ قال: (الخطاب هو بحسب أصل اللغة توجيه الكلام نحو الغير للإفهام، ثم نقل إلى الكلام الموجه نحو الغير للإفهام، وقد يعبر عنه بما يقع به (التخاطب) و واضح أن التهانوي لم يزد شيئاً ذا بال كما أورده الكفوي قبله من نظرات إلى المصطلح[29].

مفهوم الخطاب القرآني:

الخطاب القرآني خطاب إلهي معجز، ومن ثم يمتلك من الأدوات مايجعله مؤهلاً، وبشكل دائم، لايكون من أهم الوسائل التعبيرية التواصلية القادرة على استيعاب الأنساق الحضارية، إنه رسالة ربانية لكل الناس دون تحيز أو طائفية أو جغرافية معينة، فهو خطاب هداية وحيز، وهذه الخيرية لم تكن فيه امتيازاً لطبقة أو طائفة دون أخرى، بل جاءت عامة ينعم بها كل بني البشر[30].

فالخطاب القرآني رسالة إبلاغية ربانية عالمية لكل الناس، أنزله الله تعالى على نبيه **{لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا}** [الفرقان: 1]

وورد مصطلح الخطاب في القرآن الكريم في قوله تعالى **{فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ}** [ص:23]، **وكذا قول الله تعالى {وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ}** [ص:20]

(28) أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 2، 2012م، ص 349.

(29) محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد التهانوي موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق، علي دحروج، مكتبة لبنان، بيروت، ط 1، 1996م، ج1، ص 749.

(30) لطفي فكري محمد الجودي، جمالية الخطاب في النص القرآني، مؤسسة المختار، ط 1، 2014م، ص 93.

والخطاب في القرآن الكريم جاء على خمسة عشر وجهاً، وهي كالآتي[31] :

- **الخطاب العام**، كقوله تعالى: **{هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ}** [الأنعام:2]
- **الخطاب الخاص**، قال تعالى: **{ أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ }** [الملك: 16]
- **خطاب الجنس**، قال تعالى: **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}** [البقرة: 21]
- **خطاب النوع**، قال تعالى: **{يَا بَنِي آَدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ}** [الأعراف: 31]
- **خطاب العين**، قال تعالى: **{ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ}** [البقرة: 2]
- **خطاب المدح**، قال تعالى: **{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ }** [محمد: 7]
- **خطاب الذم**، قال تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}**[التحريم: 7]
- **خطاب التكريم (الكرامة)** ، قال تعالى: **{ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ }** [القلم: 4]
- **خطاب التودد**، قال تعالى: **{قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي}** [طه : 94]
- **خطاب الجمع بلفظ الواحد**، قال تعالى: **{ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ }** [الإنفطار: 6]
- **خطاب الواحد بلفظ الجمع**، قال تعالى: **{ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ }** [النحل: 126]
- **خطاب الواحد بلفظ الاثنين**، قالى تعالى: **{ كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ }** [العلق: 15]

(31) خضر موسى محمد حمود، الخطاب والقسم في كتاب الله الحكم، عالم الكتب، بيروت، ط 1، 2008م، ص 121-122.

- **خطاب الاثنين بلفظ الواحد،** قال تعالى: **{ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى }** [طه: 49]
- **خطاب العين والمراد به الغير،** قال تعالى: **{ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ }** [الفيل: 1]
- **خطاب التلوين**: وهو على ثلاثة أقسام :

أ- **أن يخاطب ثم يخبر،** قال تعالى: **{وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَاْ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ}** [الروم: 39]

ب- **أن يخبر ثم يخاطب،** قال تعالى: **{يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ }** [آل عمران: 106]

ج- **أن يخبر عيناً ثم يصرف الخطاب إلى الغير،** قال تعالى: **{ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (8) لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا }** [الفتح: 8-9]

والخطاب القرآني حسب الغرض التواصلي الإبلاغي المستهدف يتشكل عبر مجموعة من (المسارات ، الأنماط) الرئيسة، والتي من أهمها:

1. **الخطاب الإقناعي**: إن من أهم الغايات التي أسس لها الخطاب القرآني هو الخطاب الإقناعي، وذلك أن الخطاب القرآني هو في صميمه خطاب حقيقة يهدف إلى تمكين الحقائق التعليمية التبيينية التشريعية في نفوس المتلقين عن طريق التأثير والإقناع[32].
2. **الخطاب الحواري**: هو النموذج الأمثل لكل سمة خطابية، فهو نمط حياة وأسلوب تفكير، وصيغة متقدمة من صيغ التواصل والتفاهم، ومنهج من مناهج الوعي والثقافة ووسيلة من وسائل التبليغ والدعوة[33] .
3. **الخطاب القصصي**: الخطاب القصصي من أهم الفعاليات التواصلية في التأثير على النفوس والسيطرة على الأفئدة، فهو يشكل عاملاً مهماً في إنجاح أية دعوة من الدعوات التي يراد بثها وإبلاغها للمخاطبين، ولقد استخدم القرآن الكريم الخطاب القصصي في كثير من المواقف، بوصفه أداة من أدوات التبليغ والدعوة الإسلامية، والتي يناط بها التبصر بمبادئ الدعوة والكشف عن مقاصدها في نفوس المخاطبين،فالخطابات

(32) لطفي فكري محمد الجودي، المصدر السابق ، ص 103.

(33) المصدر نفسه، ص 119.

القصصية في القرآن الكريم تتموضع في تشخيص نموذجي حي لكل موضوعاته، وإن كانت لا تفصل في ذلك ولاتفيض، فلأنها ليست للتشريع بقدر ما هي للعبرة والحكمة والعظة والتدبر والتذكر وإزالة الغفلة.. فالقصة القرآنية هي قصة لها أهدافها التي تتلاءم مع مقاصد الكتاب الكريم. فلأن القرآن الكريم كتاب دعوة لا كتاب تاريخ لاتأتي القصة فيه جملة واحدة في مكان واحد، بحيث تستخلص منها حوادث التاريخ مرتبة حسب وقوعها، ولكن للقصة فيه هدفاً آخر غير الفن والتاريخ[34] . وإن تحقيق هذا الهدف يقتضي عدم الاستغراق في تفاصيل القصة بما يزيد عن الحاجة، وأن تتركز أحداثها على ماجيء بها شاهداً عليه ولأجله[35] ، وهناك عدد من العناصر التكوينية التي تشترك في بلورة عملية التواصل والإبلاغ في الخطاب، وتتبلور فيه كل هذه العناصر، مما يحيلها إلى عناصر سياقية، وعناصر الخطاب السياقية إجمالاً وهي[36] :-

1. المُرسِل: ويجد الحلقة المحورية الأولى في إنتاج الخطاب فهو المحرك الأساس للعملية الاتصالية، أينما طمح فيه التأثير على المستقبل، ويقوم باختيار الألفاظ التي تليق بمقام المرسل والمرسل إليها والسياق الإجتماعي وما يتبعه إذ لايمكن للغة أن تتجسد أو تمارس دورها الحقيقي أو تصبح وجوداً له فاعلية إلا من خلال المرسل.
2. المرسَل إليه: الحلقة الثانية في العملية الاتصالية، وهو الذي تتحد على أساسه لغة الخطاب ومستواها، مما يدل على أن المرسل إليه مستحضر يشكل أساساً في ذهن المرسل عند إنتاج الخطاب في الممارسة التنويعية للخطاب، التي تمنحه أفقاً منفتحاً لاختيار الطريقة الفعالة لخطابه.
3. العناصر السياقية: وهي الإطار العام الذي يسهم في ترجيح وإختيار الآلة المناسبة لعلمية الفهم والإفهام، أو الإقناع والاقتناع بين طرفي الخطاب المُرسِل والمرسَل إليه. ويتم تحقيق ذلك عبر مجموعة من العناصر المؤثرة في إنجاز عملية التواصل في

(34) لطفي فكري محمد الجودي، المصدر السابق ، ص 133-134.

(35) كاظم الظواهري، بدائع الإضمار القصصي في القرآن الكريم، ط 1، 1991م، ص 41.

(36) عبدالهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط 1، 2004م، ص 39.

الخطـاب، كالمعرفـة المشـتركة بـين المخـاطبين، والظـروف الاجتماعيـة وعنصـري الزمان والمكان اللذين يتلفظ فيها المرسل بخطابه.

4. الرسالة: وهو مايرجع إلى الخطاب نفسه، وهو ذلك الكل الجامع بين العناصر الثلاثة السابقة، وبالتالي فإن الخطاب هو الرسالة الموجهة من المُرسِل إلـى المرسَل إليـه فـي عبارات لغوية وآليات خطابية منتقاة ضمن سياق معين، يفهم من خلال تفكيك لغة الخطاب للوصول إلى المعنى المقصود، أو الغرض المراد[37] .

ثالثاً: المقصود بالطواسين:

ثلاثة سور من القرآن الكريم تسمى بـ(الطواسين) أو (الطواسيم)، وهذه السور متتالية حسب ترتيب المصحف الشريف، وهي: سورة الشعراء ورقمها (26)، وسورة النمل ورقمها (27)، وسورة القصص ورقمها (28)، وإنما سميت بالطواسين لإبتدائها بحرف الطاء والسين فهي ذوات طس، وذلك لن سورتي الشعراء والقصص تبدأان بـ(طسم) وسورة النمل تبدأ بـ(طس).

وهذه السور الثلاث هي نهاية المجموعة المبدوءة بـ(طه)، فهي كلها مبدوءة بحرف (الطاء)، ثم لايظهر حرف الطاء في فواتح سور القرآن مرة أخرى، وهي تشبه سورة طه، ونلاحظ أن بداية السور الثلاث متشابهة ليست فقط في الأحرف بل في الافتتاح[38] .

فسورة الشعراء بدايتها : **{طسم (1) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ}**[الشعراء:1_2]

وسورة النمل بدايتها: **{طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ}**[النمل : 1]

وسورة القصص بدايتها: **{طسم (1)تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ}**[القصص:1_2]

و(طسم) لعله إشارة إلى الطهارة الواقعة بذي طوى من طور سيناء وطيبة ومكة وطيب ما نزل على محمد (ص) ما يجمع ذلك كله[39] .

---

(37) لطفي فكري محمد الجودي، المصدر السابق ، ص 84.

(38) سعيد حوّى الأساس في التفسير، دار السلام، القاهرة، ط 6، 1424هـ ، ج 7، ص 3897.

(39) إبراهيم بن عمر بن حسن ابوبكر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط . د، ج 14، ص 2.

أما عن ترتيب السور، فمن السلف من يقول: إنه توفيقي، ويستدل على ذلك بورود الحواميم مرتبة ولاء، وكذا الطواسين، على حين لم ترتب المسبحات ولاء، بل جاءت مفصولاً بين سورها، وفصل بين (طسم) الشعراء و (طسم) القصص بـ(طس) مع أنها أقصر منها ولوكان الترتيب إجتهاداً لذكرت المسبحات ولاء وأخرت (طس) عن القصص[40] .

بعد الانتهاء من توضيح الطواسين سنتحدث عن كل من سورة (الشعراء والنمل والقصص) كل على حدة.

سورة الشعراء

بيان أن السورة مكية أو مدنية وعدد آياتها:

سورة الشعراء هي مكية في قول الجمهور[41]، وعدد آياتها مائتان وسبع وعشرون آية[42]، وقيل مائتان وست وعشرون[43]، وقيل سورة الشعراء مكية إلا آية 197، 224 إلى آخر السورة فمدنية وآياتها (227) آية نزلت بعد الواقعة[44] .

وتسمى سورة الشعراء وهو اسمها التوفيقي وتسمى أيضاً بسورة (طسم)، وتسمى أيضاً بالسورة الجامعة[45] . ووجه تسميتها بهذا الأسماء:

---

(40) إبراهيم بن إسماعيل الأبياري ،الموسوعة القرآنية، مؤسسة سجل العرب، ط .د، 1405هـ، ج 1، ص 339.

(41) محمد بن علي بن محمد الشوكاني، فتح القدير، الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار المعرفة، بيروت، ط 4، 2007 م ،ج 19، ص 1052 .

(42) أبو عبد الله محمد بن أحمد أبوبكر القرطبي ،الجامع لأحكام القرآن، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت،2006 م ، ط 1، ج 16، ص 5.

(43) شهاب الدين السيد محمد الآلوسي، روح المعاني، تفسير القرآن العظيم والسمع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط . د، ج 19، ص 58.

(44) محمد بن صالح العثيمين، تفسير القرآن الكريم سورة الشعراء، مؤسسة محمد بن صالح العثيمين الخيرية، ط 1، 1436هـ ، ص 7.

(45) انظر: محمد بن ابراهيم الحمد ابن عاشور ، التقريب لتفسير التحرير والتنوير، دار ابن خزيمة، ط. د، ج2، ص54.

- سميت (سورة الشعراء) إن الله تعالى ذكر فيها أخبار الشعراء، وذلك للرد على المشركين في زعمهم أن محمداً كان شاعراً، وأن ماجاء به من قبيل الشعر، فرد الله عليهم ذلك الكذب والبهتان بقوله سبحانه **{وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (224) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (225) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ }** [الشعراء 224-226]، وبذلك ظهر الحق وبان[46].
- وسميت سورة (طسم) لافتتاحها بهذا الأحرف [47].
- وسميت بالجامعة لأنها أول سورة جمعت ذكر الرسل أصحاب الشرائع المعلومة إلى الرسالة المحمدية[48].

ترتيب نزول السورة الشعراء :

وهي السورة السابعة والأربعون في عداد نزول السورة نزلت بعد سورة الواقعة وقبل سورة النمل، والسورة السادسة والعشرون في ترتيب المصحف[49].

علاقة سورة الشعراء بما قبلها وبما بعدها :

1. علاقة سورة الشعراء بما قبلها بـ (سورة الفرقان)

اشتمالت سورة الشعراء على بسط وتفصيل لبعض ماذكر في سورة الفرقان، فلما أشار الله تعالى في الفرقان إلى قصص مجملة، وشرح هذه القصص وفصلها أبلغ تفصيل في سورة الشعراء ورتبها أعلى ترتيب في سورة الفرقان، وجاء بقصص أخرى مثل قصة إبراهيم وقوم لوط وقوم شعيب عليهم أفضل الصلاة والسلام.

ولما ختم الفرقان بقوله: **{وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا}** [الفرقان 63] **وقوله: {وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا}**[الفرقان 72] ، ختم هذه السورة بذكر الشعراء وذلك في قوله تعالى **{والشعراء يتبعهم الغاوون}** [الشعراء 224 إلى آخر السورة 227]، بخلاف ذلك، واستثنى منهم من سلك

(46) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، المكتبة العصرية، بيروت، ط. د، 1015م ،ج 2، ص 825.

(47) محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي ، التحرير والتنوير، الناشر: الدار التونسية ،ط. د ، 1984 هـ ، ج 19، ص 89.

(48) انظر: الشوكاني، المصدر السابق، ج 19، ص 1052.

(49) ابن عاشور، التحرير والتنوير، المصدر السابق، ج 19، ص 90.

سبيل أولئك، وبين ما يمدح من الشعر، ويدخل في قوله (سلاماً) وما يذم منه، ويدخل في اللغو[50].

2. علاقة سورة الشعراء بما بعدها سورة النمل:

تعدّ سورة النمل كالتتمة بالنسبة الشعراء حيث زاد فيهما الله سبحانه ذكر باقي القرون، فذكر سليمان وداود عليهما السلام، وفصل في قصة لوط أكثر مما في سورة الشعراء[51].

كلتا السورتين ابتدأت بالحديث عن القرآن الكريم وبيان إعجاز وعجز الكافرين عن الإتيان بمثله مع أن حروفه معروفة لهم، إلا أنه جاء في سورة النمل ذكر اسم القرآن الكريم ولم يأت في سورة الشعراء[52].

أغراض سورة الشعراء وموضوعاتها:

للسورة أغراض كثيرة وسأقتصر في هذا البحث على أهمها:-

1. سورة الشعراء مكية وقد عالجت أصول الدين من (التوحيد والرسالة والبعث) شأنها شأن سائر السورة المكية، التي تهتم بجانب العقيدة وأصول الإيمان.
2. تسلية للرسول (صلى الله عليه وسلم) وبيان ما حدث له من قومه حدث لإخوانه من الرسل ما هو أشد منه وبيان عاقبة الكافرين والمكذبين له ولغيره من الرسل عليهم السلام.
3. ابتدأت السورة الكريمة بموضوع القرآن العظيم، الذي أنزله الله هداية الناس جميعاً.
4. تحدث السورة عن قصص العديد من الرسل السابقين وفصلت الحديث عنهم وبينت عاقبة المكذبين لهم.
5. ثم تحدثت السورة عن المتقين والغاوين والسعداء والأشقياء، ومصير كل من الفريقيين يوم الدين.

---

(50) انظر: جلال الدين السيوطي، تناسق الدرر في تناسب السور، تحقيق عبدالقادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1986 م ص 106-107.

(51) المصدر نفسه، ص 107.

(52) انظر: عاشور، التحرير والتنوير، المصدر السابق، ج 19، ص 217 .

6. بنيت سنة الله في معاملة المكذبين للرسل عليهم السلام.

7. تحدثت عن القرآن الكريم وعظمت من شأنه وبينت مصدره، وختمت بالرد على مزاعم المكذبين بالقرآن الكريم والمشككين في مصدره[53] .

سورة النمل

بيان أن السورة مكية أم مدنية وعدد آياتها:

سورة النمل مكية بالإجماع [54]، عدد آياتها ثلاث وتسعون آية[55]، وقيل أربع وتسعون [56]، وقيل خمس وتسعون[57]، **و**سميت سورة النمل بأسماء عديدة هي :

1. سور النمل: سميت بسورة النمل لأن الله عزوجل ذكر فيها قصة النملة التي وعظت جيشها بدخول مساكنهم حتى لايحطمنهم سليمان عليه السلام وجنوده وهو لايشعرون[58] . وقوله تعالى **{حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ }** **[النمل: 18]**

2. سورة سليمان: ووجه التسمية به هو تناول قصة سليمان (عليه السلام) من جوانب مختلفة لم تذكر في سورة آخرى.

3. سورة الهدهد: ووجه التسمية به هو ورود لفظ الهدهد وقصته مع سليمان (عليه السلام) فيها[59] .

---

(53) انظر: الصابوني، المصدر السابق،ج، 2،ص 824 .

(54) انظر: أبو الفرج جمال الدين عبدالرحمن ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، دار ابن حزم، بيروت، ط 1، 2002 هـ ، ص 1040.

(55) علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم الخازن، تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1990 م، ج 4، ص 514 .

(56) القرطبي، المصدر السابق، ج 16، ص 99.

(57) أبو بكر محمود جومي، رد الأذهان إلى معاني القرآن، مؤسسة غومبي، ط. د، ج 19، ص 494.

(58) محمد حسين سلامة، الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط 1، 2002م، ص 217.

(59) انظر: ابن عاشور، التحريروالتنوير، المصدر السابق، ج 19، ص 215.

ترتيب نزول السورة النمل :

نزلت سورة النمل بعد سورة الشعراء، وقبل سورة القصص حسب ترتيب المصحف،وترتيبها السورة السابعة والعشرون في ترتيب المصحف وتبدأ السورة الكريمة بموضوع القرآن الكريم كما بدأت من قبل سورة الشعراء[60] .

خصائص سورة النمل :

- ورد لفظ النمل والهدهد فيها ولم يذكر في أي سورة أخرى .
- وذكر فيها قصة سليمان عليه السلام تفصيلاً ولم يذكر مثله في غيرها.
- بدأت سورة النمل بالحرفين طس فقط [61] .

أغراض سورة النمل وموضوعاتها:

1. سورة النمل مكية تتفق مع أغراض في السورة المكية في بيان أصول العقيدة : وهي التوحيد والنبوة والبعث، وبيان إعجاز القرآن الكريم وشرف منزلته[62] .

2. تفصيل ملك سليمان (عليه السلام) وغيره من الأنبياء، وأخذ العبر والعظات من قصصهم.

3. تناولت السورة كذلك الدلائل والبراهين على وجود الله ووحدانية من آثار مخلوقاته وبدائع صنعه، وساقت بعض الأهوال والشدائد من مشاهد يوم القيامة.

4. بيان أن القرآن كتاب هداية لمن أراد الاهتداء[63] .

---

(60) محمد رأفت سعيد، تاريخ نزول القرآن، دار الوفاء المنصورة، المصر، ط1، 2002م، ج 1، ص 357.

(61) ابن عاشور ، التقريب لتفسير التحرير والتنوير، المصدر السابق، ج 2، ص 62.

(62) وهبة بن مصطفى الزحيلي، التفسير في العقيدة والشريعة المنهج، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط 2، 1418هـ ، ج 19، ص 253.

(63) انظر: الصابوني، المصدر السابق، ج 2، ص 847 .

سورة القصص

بيان أن السورة مكية أو مدنية وعدد آياتها:

سورة القصص آياتها ثمان وثمانون آية، نزلت بعد سورة النمل وهي سورة مكية[64]. إلا الآيات من (52 إلى 55) فمدنية والآية (85) بالجحفة أثناء الهجرة [65]، وسميت السورة بالقصص، لأن الله تعالى ذكر فيها قصة موسى (عليه السلام) مفصلة موضحة، من حين ولادته إلى حين رسالته، وفيها من غرائب الأحداث العجيبة مايتجلى فيه بوضوح، عناية الله بأوليائه، وخذلانه لأعدائه[66]

ترتيب نزول سورة القصص:

نزلت سورة القصص بعد سورة النمل وقبل سورة الإسراء وهي السورة التاسعة والأربعون في عدد نزول سورة القرآن، فكانت هذه الطواسين الثلاث متتابعة في النزول كما هو ترتيبها في المصحف[67] .

علاقة سورة القصص لما قبلها:

1. إنه سبحانه بسط في هذه السورة ما أوجز في السورتين قبلها من قصص موسى عليه السلام، وفصَّل ما أجمله هناك.
2. إنه أجمل في السورة السالفة توبيخ المشركين بالسؤال عن يوم القيامة، وبسطه هنا أتم البسط.
3. إنه فصَّل هناك أحوال بعض المهلكين من قوم صالح وقوم لوط، وأجمله هنا في قوله **{وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ}** [القصص: 58]

---

(64) حسين سلامة، المصدر السابق، ص 28، وانظر النحاس، أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد ، معاني القرآن، تحقيق حمد علي الصابوني، جامعة أم القرى، مكة مكرمة، ط 1، ج 5، ص 153.

(65) انظر، ناصر الدين أبي الخير عبدالله بن عمر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 1،ج 4، ص 171.

(66) الصابوني، المصدر السابق، ج 2، ص 868.

(67) ابن عاشور، التحرير والتنوير، المصدر السابق ، ج 20، ص 61.

4. بسط هناك حال من جاء بالحسنة وحال من جاء بالسيئة، وأوجز ذلك هنا[68].

علاقة السورة بما بعدها:

- ابتدأت السورة بالحديث عن طغيان فرعون، وعلوه وفساده في الأرض، ومنطق الطغيان في كل زمان ومكان، **{إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا .. }** [القصص : 4] [69].
- أما السورة العنكبوت فقد افتتح هذه السورة بذكر المؤمنين الذين فتنهم الكفار وعذبوهم على الإيمان.
- خاتمة سورة القصص اشارت إلى هجرة النبي (صلى الله عليه وسلم) وفي خاتمة سورة العنكبوت أشارة إلى هجرة المؤمنين[70]، بقوله: **{يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ}** [العنكبوت: 56].

أغراض سورة القصص:

1. تهتم السورة بجانب العقيدة (التوحيد، الرسالة، البعث)، وهي تتفق في منهجها وهدفها مع سورتي (الشعراء، النمل)، فهي تكمل أو تفصل ما أجمل في السورتين قبلها.
2. ابتدأت السورة بالحديث عن طغيان فرعون، وعلوه وفساد في الأرض، ومنطق الطغيان في كل زمان ومكان.
3. إشتملت هذه السورة على التنويه بشأن القرآن، والتعريض بأن بلغاء المشركين عاجزون عن الإتيان بسورة مثله.
4. وختم الكلام بتسلية النبي (صلى الله عليه وسلم) وتثبيته، ووعده بأنه يجعل بلده في قبضته ويُمكّنه من نواصي الضالين [71].

---

(68) أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، المكتبة مصطفى البابي الحلبي، ط 1،1946 م ، ج 19، ص 30

(69) الصابوني، المصدر السابق، ج 2، ص 867.

(70) انظر: السيوطي، المصدر السابق، ص 109.

(71) ابن عاشور، التحرير والتنوير، المصدر السابق، ج 19، ص 62 - 63، وانظر: الصابوني، المصدر السابق ، ج 2، ص 867.

الفصل الأول: بلاغة الخطاب في سورة الشعراء

1. مظاهر بلاغة خطاب الله للنبي محمد (صلى الله عليه وسلم)،وموسى (عليه السلام)
2. مظاهر بلاغة خطاب الأنبياء مع أقوامهم
3. مظاهر بلاغة خطاب الله لغير معين

1. مظاهر بلاغة خطاب الله للنبي محمد (صلى الله عليه وسلم) ولموسى (عليه السلام) سنتحدث عن مظاهر بلاغة خطاب الله للنبي محمد (صلى الله عليه وسلم) و لموسى(عليه السلام) كما يأتي :

أ- مظاهر بلاغة خطاب الله للنبي محمد (صلى الله عليه وسلم) :

يقول سبحانه وتعالى: **{لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (3) إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آَيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ (4) وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ (5) فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ (6) أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ (7) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (8) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ }** [الشعراء: 2-9]

نرى في هذه الآيات يتبين لنا مظهر من مظاهر بلاغة خطاب الله للنبي محمد (صلى الله عليه وسلم) والآيات في هذه السورة، أو الآيات القرآن كله هي الظاهر إعجازه وصحته، والمظهر الحق من الباطل .

و التسلية على عدم إيمانهم تثير في النفس سؤالاً عن إمهالهم دون عقوبة ليؤمنوا، كما في قوله **{إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آَيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ}**[الشعراء : 4]، أي لو شئنا أن ننزل عليهم من السماء آية تلجهم إلى الإيمان وتقسرهم عليه كما نتقنا الجبل فوق موسى حتى صار كالظلة فصار جماعاتهم خاضعين منقادين لها كرهاً لفصلنا، ولكن جرت سنتنا أن يكون الإيمان اختيارياً لا قسرياً [72]، كما قال تعالى **{وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآَمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ}** [يونس: 99].

وقد خالف في العطف، وعطف (فظلت) على (ننزل) ولو قيل: أنزلنا لكان صحيحاً ولعله كان مما يقتضيه السياق ولكنه خولف لأن في عطف الماضي يدل على المستقبل إشعاراً بتحقيقه، وأنه كائن لامحالة، لأن الفعل الماضي على وجود الفعل وكونه مقطوعاً[73].

(72) ابن عاشور، التحرير والتنوير، المصدر السابق، ج 19، ص 92.

(73) محيي الدين الدرويش، إعراب القرآن وبيانه، دار إرشاد، حمص، ط 3، 1992 م، م 1، ص 55.

والمشار إليها بـ(ذلك) هو المذكور من الأرض، وإنبات الله الأزواج فيها وما في تلك الأزواج من منافع وبهجة، والتأكيد بحرف (إنَّ) لتنزيل المتحدث عنهم منزلة مَنْ يُنْكِر دلالة ذلك الإنبات وصفاته على ثبوت الوحدانية التي هي باعث تكذيبهم الرسول لما دعاهم إلى إثباتها، (74).

وقوله {**لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين**}[الشعراء:3] لعلك باخع نفسك هنا الخطاب لنبي (صلى الله عليه وسلم) والمعنى لعلك مهلك نفسك، وقاتلها(75).

والبخع أن يبلغ بالذبح البخاع وهو عرق مستبطن الفقار وذلك أقصى حد الذبح(76). لعل تكون للإشفاق أو تكون للتعليل، أو تكون للترجي فإذا تعلقت بمكروه فهي للإشفاق، وإذا تعلقت بمحبوب تكون للترجّي، وإذا تعلّقت بعلّةٍ من العِلَلِ فهي للتعليل، وهي هنا للإشفاق، مثل أن تقول (لعلّ الحبيب هالك) فلا يمكن أن يكون قصدك ترجي أن يهلك حبيبك، لكنك تشفق(77).

فقد شبه الله نبيه (صلى الله عليه وسلم) حين تولى عنه المشركون برجل فارقه أحبته، فهو يتساقط حسرات عليهم، ويهلك نفسه وجداً عليهم، وتلهفاً على فراقهم، وبخع نفسه: قتلها غمًّا، كما قال ذو الرمة: (الطويل).

ألا أيُّهذا الباخع الوجد نفسه بشيء نحته عن يديه المقادر(78).

ونجد في النص الخطاب بلاغة (لعل) أذْ تفيد الترجي وهو الطمع في الوقوع أو الإشفاق منه، والترجي هنا ليس على بابه، بل المقصود منه النهي، أي لاتبخع نفسك، أي لاتهلكها غماً

(74) ابن عاشور، التحرير والتنوير، المصدر السابق ،ج 19، ص 102.

(75) محمد علي طه الدرة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه، دار ابن كثير، دمشق،، ط 1، 2009م، م 6، ص 535.

(76) أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري،الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار المعرفة، بيروت، ط 3، 2009 م ، ص 754.

(77) البيضاوي، المصدر السابق ، ج 4، ص 133.

(78) أحمد حسن يسع، ديوان ذي الرمة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1،1995م، ص 118.

على عدم إيمانهم، وقيل هو للإشفاق على بابها هذا، والفرق بين الترجي والإشفاق: أن الأول في المحبوب والثاني في المكروه، ومافي الآية من هذا القبيل(79) .

وقيل (لعل) هنا للاستفهام وهو رأي الكوفيّين ومثال على ذلك قوله تعالى: **{فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا}**[الكهف: 6]، ففي الكلام هنا استعارة أي وصلت إلى حالة يتوقع منه الناس ذلك، لما شاهد من تأسفك على عدم إيمانهم وفي النظم الكريم إستعارة تمثيلية بتشبيه حاله معهم، وقد تولوا، وهو آسف من عدم هدايتهم، بحال من فارقته أحبته فهم يقتل نفسه أو كاد يهلك.

وجد عليهم من لوازم محبة الله ونتائجه، لما كان (صلى الله عليه وسلم) حبيب الله، ومن لوازم محبوبته محبة الله لقوله **(يحبهم ويحبونه)** [المائدة: 54]، وكلما كانت محبته للحق أقوى كانت شفقته ورحمته على خلقه أكثر.

وتكرار هذه الآية الكريمة في قوله تعالى : **{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (8) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ }**[الشعراء:8-9]، تكرر الآية ثماني مرات، وكانت متمكنة من موضعها في كل مكان حلت فيه، فقد جاءت هذه السورة اولاً، بعد أن وجه القرآن نظرهم إلى الأرض، أوَليس فيما تُنبته من كل زوج بهيج ما يغري في النفس التأمل لمعرفة خالق الأرض ومحييها، واستمع إليه سبحانه بقوله: **{أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ (7) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (8) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ }**[الشعراء 7-9]

ويكرر الآية في موضع آخر، تحدث فيه عن انغلاق البحر لموسى عليه السلام، ونجاته، وغرق فرعون، وتلك آية من أكبر دلائل قدرته سبحانه، فهي جديرة بتسجيلها، والإشارة إليها، قال تعالى: **{فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ (63) وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ (64) وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ (65) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ (66) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (67) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ }** [الشعراء 63-68].

(79) محمد علي طه الدرة، المصدر السابق ، ص 535.

وكُررت الآية ست مرات أخرى عقب كل ما يجد وأن يكون عظة يعتبر بها، كتصوير جند إبليس، وقد كبكبوا في جهنم يختصمون فيما بينهم، ويقررون أنهم كانوا في ضلالة وعمى، يتمنون لو عادوا ليصلحوا ما أفسدوه، أو ليس في ذلك من العظة ماينهى عن مثل هذا المصير.

وكررها كذلك عقب قصة إبراهيم ونوح وهود وصالح ولوط وشعيب، لأن مصير أقوامهم حقيق بأن تتلقى منه العظات والعبر، وكانت تلك الآية المكررة تشير إلى مرحلة من القول، يحسن الوقوف عندها والتريث لتدبرها.

وختم الآية بوصفه تعالى بالعزة والرحمة فيه كل المناسبة للحديث عن مصير الكافر والمؤمن، فهو عزيز يعاقب الكافر، ورحيم بمن آمن[80].

ونجد هنا خطاب آخر في قوله تعالى للنبي محمد (صلى الله عليه وسلم): **{ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعالَمِينَ (192) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193) عَلى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (194) بِلِسانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ }**[الشعراء:192_195]

الضمير في قوله (إنه) يعود على القرآن الكريم؛لأنه وإن لم يكن له ذكر في اللفظ هو مذكور في نفوس المؤمنين، أما ذكره في قلوب المؤمنين،فلأنها عامرة به سامعة لتلاوته، وتقشعر ابدانهم لسماعه، ويطمئنون بتلاوته[81]

فجملة **{وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعالَمِينَ}**[الشعراء:192]، معطوفة على الجمل التى قبلها المحكية فيها أخبار الرسول المماثلة أحوال أقوامهم لحال قوم محمد(صلى الله عليه وسلم)، وما أيدهم الله به من الآيات ليعلم أن القرآن هو آية الله لهذه الامة، ولكن هذه الجملة متصلة في المعنى بجملة **{تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ الْمُبِينِ}** [الشعراء:2]، بحيث لولا ما فصل بينها وبين الأخرى من طول الكلام لكانت معطوفة عليها.

ووجه الخطاب الى النبي (صلى الله عليه وسلم)،لأن في التنويه بالأمين تسلية له على ما يلاقيه من إعراض الكافرين عن قبول وطاعتهم فيه[82] ، وقوله: **{وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعالَمِينَ}**[

(80) البدوي، المصدر السابق، ص 120 .

(81) أبو زهرة، المصدر السابق ،ج 10، ص 5407 .

(82) ابن عاشور، التحرير والتنوير، المصدر السابق، ج 19، ص 188.

[الشعراء:192] الآية المؤكدة بإن واللام،لأن الكلام مع المتشككين في صحة القرآن يُناسب التأكيد بأنواع من المؤكدات(83)

والتنزيل مصدر بمعنى اسم المفعول اي: المنزَّل ؛لأن القرآن نفسه ليس تنزيلاً، بل التنزيل فعل الله، والقرآن عبارة عن شيء منزل،كما في قوله تعالى: **{تبَارك الَّذِي نزل الْفرْقَان}**[الفرقان:1]، وقول:**{رب العالمين}**[الشعراء:192]، هذه الربوبية العامة إشارة إلى أنه من مقتضى ربوبيته أن يكون منزلاً لعبادة هذا الكتاب المفيد لهم(84) ، و**{الروح الأمين}**[الشعراء:193] هو جبريل (عليه السلام)،لأن الأرواح تحيا بما ينزله من البركات، أو لأن جسمه رقيق روحاني،أو الحياة أغلب عليه فكانه روح كله(85) .

والباء في قوله {نزل به الروح}[الشعراء:193] على القراءتين للتعدية، ومعنى **{نزل به الروح}**[الشعراء:193] جعل الله الروح نازلاً **{به على قلبك}** أي فهمّك إياه وأثبته في قلبك إثبات ما لاينسى(86) ،كقوله تعالى:**{ سنقرئك فَلَا تنسى}**[الاعلى:6] .

وفي قوله: **{عَلى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ}**[الشعراء:194] ،خص القلب بالذكر ليؤكد أن المنزل محفوظ والرسول متمكن من قلبه لايجوز عليه تغيره،ولأن القلب هو موضع التمييز والاختيار،وأما سائر الأعضاء مسخرة له (87) ، ودليل على ذلك قوله تعالى: **{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَشَهِيدٌ}**[ق:36 _37]، وحرف (على) مستعارة للدلالة على التمكن مما سمي بقلب النبي مثل استعارته(88) في قوله تعالى: **{أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}**[البقرة: 5] .

---

(83) حسين السلامة، المصدر السابق ، ص 213 .

(84) محمد بن صالح العثيمين، المصدر السابق ، ص 285.

(85) محمود بن ابي الحسن بن الحسين النيسابوري إيجاز البيان عن المعاني القرآن،تحقيق،حنيف بن حسين القاسمي، دار الاسلامي، بيروت، ط 1، 1415 هـ ،ج 2، ص 626 .

(86) الزمخشري، المصدر السابق، ج 19،ص 769 .

(87) محمود حوجي، المصدر السابق،ج 1،ص 492.

(88) ابن عاشور،التحرير والتنوير، المصدر السابق ،ج 19، ص 189.

وقوله{ **لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ** }[الشعراء: 194] اللام هنا للتعليل وللعاقبة معآ، فهما متلازمان، فإذا قلنا: إللتعليل، صار مكلفاً بذلك،واذا كانت في العاقبة أن يكون منذرآ، وإن لم يكن هنا تكليف،ولكن هنا شاملة للأمرين(89)، وقول{**مِنَ الْمُنْذِرِينَ**}[الشعراء:194] أي:الرسل، كما في قول تعالى:{**رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ**} [النساء:165] .

وقوله: {**بِلِسانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ**}[الشعراء:195]، الباء للملابسة، ولسان: اللغة، أي نزل بالقرآن ملابساً للغة عربية مبنية أي كائنآ القرآن بلغة عربية (90) ،تقريع لمشركي قريش بأن الذي حملهم على التكذيب هو الاستكبار والعناد، لاعدم الفهم، لأنه نزل بلغتهم(91) .

و{**المبين**}[الشعراء:195] الموضح الدلالة على المعاني التي يعنيها المخاطب، فإن لغة العرب أفصح اللغات و أوسعها لاحتمال المعاني الدقيقة الشريفة مع الاختصار(92) .

وفي خطاب آخر يقول سبحانه وتعالى: {**وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (214) وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (215) فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ (216) وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ**}[الشعراء:214، 217] .

خص الأقربين في قوله {**وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ** }[الشعراء:214]، لأن الأهتمام بشأنهم أولى، وهدايتهم إلى الحق أقدم، وقيل :هم قريش، وقيل : بنوعبدالمناف، وقيل: بنو هاشم (93).

ففي حديث مارواه عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما قال: لمَّا نزلت: {**وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ**} [الشعراء: 214] ،صعد النَّبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم على الصَّفا، فجعل ينادي: (يَا بَنِي فِهْرٍ، يَا بَنِي عَدِيٍّ) - لبطون قريش - حتَّى اجتمعوا فجعل الرَّجل إذا لم يستطع أَن يخرج أَرسل رسولًا لينظر ما هو، فجاء أَبو لهبٍ وقريشٌ، فقال: (**أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟) قالوا: نعم، ما جرَّبنا عليك إِلَّا صدقًا، قال:** {**فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ**

(89) محمد بن صالح بن العثيمين، المصدر السابق ،ص 286 .

(90) ابن عاشور، التحرير والتنوير، المصدر السابق ،ج 19، ص 190.

(91) المراغي، تفسير المراغي، المصدر السابق، ص 105.

(92) ابن عاشور، التحرير والتنوير، المصدر السابق ،ج 19، ص 190.

(93) الزمخشري، المصدرالسابق، ج 19،ص 1068.

عَذَابٍ شَدِيدٍ} [94]، **فقال أَبو لهب: تبًّا لك سائر اليوم، أَلهذا جمعتنا؟ فنزلت**: **{تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ}** [المسد: 2] .

وقوله{**وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ** }[الشعراء:214] عطف على قوله: **{نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193) عَلى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ }**[الشعراء:193_194] ، فهو تخصيص بعد تعميم للاهتمام بهذا الخاص. ووجه الاهتمام أنهم أولى الناس بقبول نصيحة ولئلا يسبق إلى أذهانهم أن ما يلقيه الرسول (صلى الله عليه وسلم) من الغلظة في الإنذار وأهوال الوعيد لا يقع عليهم لأنهم قرابة هذا المنذر وخاصه [95]،ويدل على ذلك قوله (صلى الله عليه وسلم) في ندائه لهم مارواه أبوهريرة، قال: قال رسول الله (صلَّى الله عليه وسلَّم) ، حين أُنزل عليه: **{وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ}** [الشعراء: 214]، (يا معشر قريش، اشتروا أَنفسكم من الله، لا أُغني عنكم من الله شيئًا، يا بني عبد المطَّلب، لا أُغني عنكم من الله شيئًا، يا عبَّاس بن عبد المطّلب، لا أُغني عنك من الله شيئًا، يا صفيَّة عمَّة رسول الله، لا أُغني عنك من الله شيئًا، يا فاطمة بنت رسول الله، سليني بما شئت لا أُغني عنك من الله شيئًا) [96] .

وإن فيه تعرضا بقلة رعى كثير منهم حق القرآبة إذْ آذاه كثيرٌ منهم وعصوه مثل أذْ أبي لهب فلا يحسبون أنهم لا يُكتفى من مؤمنهم بإيمانه حتى يضم إليه العمل الصالح،فهذا يدخل في النذارة ولذلك دعا النبي (صلى الله عليه وسلم) عند نزول هذه الآية قرابته مؤمنين وكافرين[97] .

وفي قوله: **{وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ}**[الشعراء :215]، أي تواضع وألن جانبك لأتباعك الموحدين سواء كتنوا من عشيرتك او لا،فالابتداء بهم بالانذار لقربهم وأسبقتهم

---

(94) محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري،الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري،محمد زهير بن ناصر الناصر،باب (وأنذر عشيرتك الاقربين)، رقم 4770، ج 6، ص 111.

(94) ابن عاشور،التحرير والتنوير، المصدر السابق ،ج 19، ص 201.

(94) مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري ،المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم،محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، رقم 206، ج 1،ص 19.

(95) ابن عاشور،التحرير والتنوير، المصدر السابق ،ج 19، ص 201.

(96) النيسابوري ، المصدر السابق، ج 1، ص 19 .

(97) ابن عاشور، التحرير والتنوير، المصدر السابق ،ج 19، ص 201 .

(98) وقوله **{وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ }**[الشعراء:215] الاستعارة التصريحيه شبه التواضع ولين الجانب،بطائر يخفض جناحه عند إرادة الانحطاط،فأطلق على المشبه اسم الخفض بطريق الاستعارة المكنية (99) .

وفي قوله: **{فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ }**[الشعراء:216]، فإن عصتك عشيرتك ولم يتبعوك { **فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ** }[الشعراء:216] أي : مما عليك أن تتبرَّأ من عملهم (100) ، وقوله: **{وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ }**[الشعراء:217] أي : فوض أمورك إليه فإنه القادر على قهر الأعداء وهو الرحيم للأولياء(101) ، و(توكل) بالواو والفاء،من المسائل النادرة في القراءات،لأن الغالب في القراءة أن يكون الخلاف في صفة الكلمة أو في الحرف،ليس ذاته أو عينه،لكن قد يأتي في ذات الحرف، واحياناً ايضاً باسقاط الحرف من عدمه، كما في قوله **{وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً سُبْحانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ}** [البقرة:116] ، في قراءة بإسقاط الواو: **{قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً سُبْحانَهُ }**[البقرة:116] وهذه من المسائل النادرة في القراءات(102) .

ب – مظاهر بلاغة خطاب الله للنبي موسى (عليه السلام) :

نجد بلاغة الخطاب الله للنبي موسى عليه السلام في قوله تعالى: **{وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (10) قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ }**[الشعراء: 10-11]، يُكثر الله تبارك وتعالى في القرآن الكريم من ذكر قصة موسى، وماجرى له مع فرعون ومع بني إسرائيل، وذلك ليستعد النبي (ص) لليهود الذين في المدينة، حتى يعرف من أمرهم مالم يكن معروفاً عنده، ولهذا كان

(98) محمود حوجي، المصدر السابق،ج 1، ص 493.

(99) الصابوني، المصدر السابق ،ج 2، ص 845.

(100) انظر: أبو السعود ،المصدر السابق،ج 6، ص 268.

(101) الزمخشري، المصدر السابق،ج 19، ص 1068.

(102) محمد بن صالح بن العثيمين، المصدر السابق، ص 307.

الرسول (ص) إذا بعث أحداً أخبره بكلام اليهود له، ثم قال لمعاذ: (إنَّك سَتَأتي قَوماً أَهلَ كِتَاب) [103] ، ليستعدَّ لهم.

وقد بدأ الله تعالى بذكر قصص الأنبياء مقدماً ذكر قصة موسى لطولها ولأهميتها بالنسبة لنبيه (صلى الله عليه وسلم) فقال الله تعالى: **{وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}**[الشعراء:10] أي: واذكر يا محمد إذْ نادى ربك موسى بأن إئت القوم الظالمين ثم بينهم فقال **{قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ}** أي:[الشعراء:11] ، فقل لهم : ألا يتقون، وجاء بالياء لأنه غيب عن المخاطبة.

ودلّ **{ألا يتقون}**[الشعراء:11] على أنهم لايتقون، ودل أيضاً على أنه أمر موسى أن يأمرهم بالتقوى، فهذا من باب الإيمان إلى الشيء بغيره، لأنه أمره بأن يأتي القوم الظالمين، ولم يبين لآي شيءٍ يأتيهم، تدل قوله **{ألا يتقون}**[الشعراء:11]، لأي شيء يأتيهم وهو الأمر بالتقوى والتقوى اسم جامع للخير كله من الإيمان والعمل، فكأنه قال: أن إئت القوم الظالمين ومرهم بالتقوى فهذا مفهوم الخطاب[104].

وإذ نادى (ناداه) أي: دعاه بصوت مرتفع لأن النداء لايكون إلا بصوتٍ عالٍ، وقال تعالى: **{وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا }** [مريم: 52]، فالنداء يكون للبعيد، ويلزم أن يكون بصوت عالٍ، وأما المناجاة فهي للقريب وفي الآية الكريمة الحث والتحضيض، الحث: الاعجال في الاتصال، والحضّ: ضرب من الحث في السير وكل شيء. وعدَّ الصاحبي الحث والتحضيض كالأمر بمعنى ائتهم ومرهم بالاتقاء، وربما كان تأويلها النفي، كقوله تعالى: **{لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ }**[الكهف: 15]، أي اتخذوا من دونه آلهة لايأتون عليهم بسلطان بين[105].

ونرى في هذه الاية في قوله تعالى **{قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ }**[الشعراء: 15] خطاب الله لموسى وهارون(عليهم السلام) {**فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا**}[الشعراء:15] تفريع على مفاد

---

(103) محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري ، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول (صلى الله عليه وسلم) وسننه وأيامه، صحيح البخاري، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط 8، 1422هـ ، ج 2، ص 128.

(104) أبو محمد مكي بن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسير وأحكامه، وجميل من فنونه علومه، تحقيق الشاهد اليوشيخي، جامعة الشارقة، ط 1، 2008م، ج 8، ص 5281.

(105) إنعام فوال عكاوي، المعجم المفصل في علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2، 1996م ، ص 530.

كلمة {كلا}[الشعراء:15] والأمر لموسى أن يذهب هو وهارون يقتضي أن موسى مأمور بإبلاغ هارون ذلك فكان موسى رسولاً إلى هارون بالنبوءة ولذلك جاء في التوراة أن موسى أبلغ أخاه هارون ذلك عندما تلقاه في حوريب إذ أوحى الله إلى هارون أن يتلقاه، والياء للمصاحبة، أي مصاحبين لآياتنا، وهو وعد بالتأكيد بمعجزات تظهر عنه الحاجة(106) .

ومن الآيات: العصا التي انقلبت حية عند المناجاة، وكذلك بياض يده كما في آية {**وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى** } [طه: 17] .

وجملة{**إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ**}[الشعراء: 15] مجاز معناه: إنا معكم نستمع ما يجري بينكم وبينه وأنا الناصر لكما عليه، فالاستماع قرينة للكلام المجازي، لأن من سمع محاورة خصمين كان مستطيعاً الحكم بينهما، ومشايعة أيهما رآه أقرب إلى الحق وأدنى من الصواب، فإذا اعترض معترض بأن الله تعالى مستمع حقيقة وسامع ولا يجوز إجراء المجاز عليه تعالى قلنا إن الاستماع يقتضي الإصغاء بالأذن كما الإبصار يتطلب تقلب الحدقتين من العين، وكل ذلك من خواص المحدثين(107) .

وقال بعضهم جملة {**إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ**}[الشعراء: 15] استعارة تمثيلية، مثل سبحانه حاله عز وجل، بحال ذي شوكة قد حضر مجادلة قوم يستمع مايجري بينهم، ليمد أولياءه ويطهرهم على أعدائهم، مبالغة في الوعد بالأمانة(108) .

وقوله تعالى: {**فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (16) أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ** }[الشعراء: 16-17]، فجمع خطاب بين الإفراد والتثنية والجمع في موطن واحد، والتثنية في الآية مرجعها إلى تعدد الذات (موسى وهارون) والإفراد مرجعه إلى توحد الهدف(109) .

والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها لأن المرتب على الأمر بالذهاب أن يأتياه ويخاطباه بأنهما رسول رب العالمين، وأفردت رسالتهما بالتعبير برسول رب العاملين للإشارة إلى أن

---

(106) ابن عاشور، التحرير والتنوير، المصدر السابق ،ج 19، ص 108.

(107) محيي الدين الدرويش، المصدر السابق ، ج 7، ص 60 .

(108) محمود صافي، الجدول إعراب القرآن وصرفه وبيانه مع فوائد نحوية هامة، دار الرشيد، دمشق، ط 3، 1995م ، ص 59.

(109) عبد الحميد بن محمد نراجعراية، المدخل إلى التفسير، مكتبة الزهراء،، ط 1، 1996م، ص 413.

الرسالة التي أرسلا بها واحدة، وأنهما كرسول، وأن موسى يتلقى أمر ربه ويعاونه هارون في التوضيح والتبيين، فهما رسولان لرسالة واحدة[110] .

وقد ذكر أنهما رسولان في سورة طه فقالا **{إِنَّا رَسُولا رَبِّكَ}**[طه : 47] ،لأن رسول يستعمل للمفرد وغيره ، كماقال الشاعر:

لقد كذب الواشون ما بحت عندهم بليلي ولا أرسلتهم برسيلِ[111].

وكما يستعمل كذلك عدو وصديق كما جاء في قوله تعالى **{فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي}** [الشعراء: 77] وقيل معناه: إن كل واحد منا رسول رب العالمين[112] .

وجملة { **أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ**}[الشعرا:17] تفسير لما تضمنه (رسول) من الرسالة التي هي في معنى القول، أي هذا قول ربُّ العالمين لك. و (أرْسِل معنا) أطلق ولا تحبسهم فالإرسال هنا ليس بمعنى التوجيه، وهذا خطاب يتضمن أن موسى أمر بإخراج بني إسرائيل من بلاد الفراعنة لقصد تحريرهم من استعباد المصريين[113].

(110) ابو زهرة ، المصدر السابق، ج 10، ص 5344.

(111) إحسان عباس، ديوان كثرة عزة، دار الثقافة، بيروت، ص 110.

(112) القرطبي، المصدر السابق، ج 16، ص 16.

(113) ابن عاشور، التحرير والتنوير، المصدر السابق، ج 19، ص 110.

2. مظاهر بلاغة خطاب الأنبياء لأقوامهم

أ- المظاهر البلاغية في خطاب النبي موسى (عليه السلام) لقومه :

نتحدث عن خطاب النبي موسى (عليه السلام) مع قومه ، وهنا نجد الخطابات الحوارية بين سيدنا موسى (عليه السلام) مع فرعون، التي اعتمدت الأسلوب الوصفي التصويري .

ومن دواعي فصل الكلام عن كلام آخر سابق وجود سؤال مقدر غير متجل في سطح الخطاب على شكل زوج مكون من سؤال مقَدر وجواب ظاهر[114] . كما جاء في قوله تعالى :**{قالَ فِرْعَوْنُ وَما رَبُّ الْعالَمِينَ (23) قالَ رَبُّ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَما بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (24) قالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلا تَسْتَمِعُونَ (25) قالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (26) قالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (27) قالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَما بَيْنَهُما إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ(28) قالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلهاً غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ (29) قالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ (30) قالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ}**[الشعراء:23-31] .

وسأل فرعون لموسى (عليه السلام) في قوله تعالى **{وَما رَبُّ الْعالَمِينَ}**[الشعراء:23] إما عن الجنس، لجهله بالله تعالى أن لاموجود مستقلاً بنفسه سوى الأجسام، كأنه قال :أجناس الأجسام هو؟ وعلى هذا جواب موسى (عليه السلام) بالوصف،للتنبيه على النظر المؤدي إلى معرفته، لكن لما لم يطابق السؤال عند فرعون عجب الجهله الذين حوله من قول موسى بقوله **{ألاتستمعون}**[الشعراء:25]؟ ثم لما وجده مُصِرّاً على الكفر إذ قال في المرة الثانية: **{قالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبائِكُمُ الْأَوَّلِينَ }**[الشعراء:26] استهزأ به[115] ، وفي قوله تعالى **{قالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ}**[الشعراء:27] حين لم يرهم موسى (عليه السلام) يفطنون لما نبههم عليه في الكرّتين من فساد مسألتهم الحمقاء، واستماع جوابه الحكيم غلظ في الثالثه: **{قالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَما بَيْنَهُما إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ }**[الشعراء:28] ويحتمل أن يكون فرعون قد سأل بما عن الوصف لكون رب العالمين عنده مشتركاً بين نفسه وبين ما دعاه اليه موسى في قوله **{إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعالَمِينَ }**[

(114) خلود العموش، المصدر السابق، ص 70.

(115) الخطيب القزويني، المصدر السابق، ص 110.

[الشعراء: 16]، لجهله،وفرط عتوه وتسويل نفسه الشيطانيه له ذلك، الضلال الشنيع من ادعاء الربوبية ،قوله:{**إنا ربُكم الاعلى**} [النازعات:24] ونفخ الشيطان في خيشومه بتسليم أولئك البهائم له إياها،واذعانهم له بذلك، وتلقيبهم إياه برب العالمين وشهرته فيما بينهم بذلك،أما السحرة فقد عرفوا الحق وفروا سجداً لله و: {**قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعالَمِينَ**}[الشعراء:47] أي: أن يعقبوه بقولهم {**رب مُوسى وهَارون**} [الشعراء:48] نفياً لاتهامهم أن يعنوا فرعون،وأن يكون ذلك السؤال عن فرعون أن يجري موسى في جوابه على نهج حاضريه ،فيجعلُهُ الملخص لجهله بحال موسى، وعدم اطلاعه على علو شأنه، بدليل ماجرى فيه من قوله: {**قالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ (30) قالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ** } [الشعراء:30_31] ،فحين سمع الملخص لم يكنه،تعجب وعجب،واستهزأ وجنَّنَ وتفيهق بما تفهيق [116]،من قوله: {**لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلهاً غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ** }،[الشعراء:29] .

وبعد أن ذكر العموم بقوله: {**رَبُّ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَما بَيْنَهُمَا** }[الشعراء:24] ،إذا استوعب به الخلائق كلها عاد إلى التخصيص بذكرهم وذكر آبائهم، والمطابقة بين المشرق والمغرب ليتأملوا في أنفسهم لأنه أقرب المنظور من الدلائل على الصانع ،لان طلوع الشمس من احد الخافقين وغروبها في الآخر على تقدير مستقيم ونظام ثابت لاخلل فيه في فصول السنة وحساب مستقيم أيضاً، ومن أظهر مايمكن الاستدلال به[117] .

ومعنى{**لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ** } [الشعراء: 29] لأسجننك، فسلك فيه طريقه الإطناب لأنه يفيد معنى لأجعلنك واحداً ممن عرفت أنهم في سجني، فالمقصود تذكير موسى (عليه السلام) بهول السجن . وتقدم أن مثل هذا التركيب يفيد تمكن الخبر من المخبرعنه[118]، قوله تعالى {**قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ**} [البقرة: 67]، وقد كان السجن عندهم قطعاً للمسجون عن التصرف بلا نهاية فكان لايدري متى يخرج منه قال تعالى: {**فأنساه الشَّيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين**} [يوسف: 42] ،وحينئذ اضطر أن يترك الأدلة العقلية وراءه ظهرياً ويلجأ الى المعجزات وخوارق العادات[119] .

---

(116) السكاكي، المصدر السابق ، ص 310-311.

(117) محيي الدين الدرويش، المصدر السابق، ج 7، ص 66-67 .

(118) ابن عاشور، التحرير والتنوير، المصدر السابق، ج 19، ص 122 .

(119) المراغي، تفسير المراغي، المصدر السابق، ج 19، ص 55.

وفي قوله: **{قالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ }**[الشعراء :30] واو الحال والمستفهم عنه بالهمزة محذوف دل عليه أن خطاب جواب قول فرعون **{لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ }**[الشعراء:29] والتقدير: أتجعلني من المسجونين، والحال لو جئتك بشيء مبين إذاً القصد الاستفهام عن الحالة تضمنها شرط (لو) بأنها أولى الحالات بأن لايثبت معها الغرض عنه على غرض وقوعها وهو غرض الاستمرار على التكذيب،وهواستفهام حقيقي ، والعامل في الحال وصاحب الحال مُقدران في قوله تعالى **{لأجعلنك}**[الشعراء: 29] أي :أتجعلني من المسجونين ووصف (شيء) ب (مبين) اسم فاعل من أبان المعتدي، أي مظهر أتى رسول من الله وأعرض مرفوع عن التصريح بالتزام الاعتراف بما سيجيء به موسى (عليه السلام) بخطاب محتمل إذ قال (فإت به إن كنت من الصادقين) وفي قوله **{ان كنت من الصادقين}**[الشعراء:31] إيماء بأن في كلام فرعون مايقتضي فرض صدق موسى ضعيفاً كما هو الغالب في شرط (إن)مع إبهام أنه بشيء مبين صادقآ فيما دعاه إليه،فبقي تحقيق أن ما يجيء به موسى مبين أو غير مبين[120] .

وفي قوله: **{فَأَلْقى عَصاهُ فَإِذا هِيَ ثُعْبانٌ مُبِينٌ (32) وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذا هِيَ بَيْضاءُ لِلنَّاظِرِينَ (33)**[الشعراء:32_33] وفي سورة الاعراف قال تعالى: **{فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ (107) وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ}**[الاعراف:107_108] أي رمى موسى (عليه السلام) عصاه،فإذا هي حية عظيمة،في غاية الجلاء والوضوح ذات قوائم وفم كبير،وشكل هائل ومزعج[121]، وظاهر ثعبانيته.

وأظهر له المعجزة من عصاه لطول التصاقه بها فالإنسان إلى مألفه اسكن بقلبه .فلما رأى ما ظهر في العصا من الانقلاب أخذ موسى (عليه السلام) في الفرار[122] ، وقد عبر سبحانه وتعالى في موضوع آخر مكان الثعبان بالحية بقوله: **{فإذا هي حية تسعى}**[طه:21] وفي موضوع آخر بالجان، فقال: **{كأنها جان}** [القصص:31،وفي النمل:10] والجان هوالمائل الى الصغر، والثعبان هو الما ئل إلى الكبر، والحية جنس يشمل الكبير والصغير[123].

---

(120) ابن عاشور، التحرير والتنوير، المصدر السابق ،ج 19، ص 122-123.

(121) الصابوني، المصدر السابق،ج 2، ص 829.

(122) عبدالكريم بن هوزان بن عبد الملك القشيري، لطائف الإشارات- تفسير القشيري،تحقيق، إبراهيم البسيوني،الهيئة المصرية العامة ، ط 3، ج 1، ص 555.

(123) الشوكاني، المصدر السابق، ج19، ص 1055- 1056.

والفاء عاطفة تفيد الترتيب والتعقيب،أي إنه بمجرد أن طلب الدليل جاءه تباعا معقباً للطلب،وكان الجواب عملاً وليس قولاً،ألقى عصاه في الأرض،فإذا هي ثعبان، (إذا) للمناجاة أي فوجيء الناظر،فوجدها ثعباناً مبيناً اي واضحاً بينا[124] ، ونزع من يده من جيبه فإذا هي تتلألأ كأنها قطعة من الشمس،وكان بياضها النوريّ مما يجتمع النظارة على النظر إليه لخروجه عن المألوف والمعتاد. فلما رأى ما رأى ،وطمع بما عند قومه من المعرفة بالسحر أن يكون له فيه سبب لمقاومة موسى (عليه السلام) فأوهم قومه وأتباعه بأن موسى (عليه السلام) ساحر[125] .

وفي خطاب آخر في قوله تعالى على لسان (موسى عليه السلام) : **{قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ (43) فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ}**[الشعراء:43_44]، في هذا الخطاب إيجاز دل عليه السياق تقديره: فقالوا لموسى عند ذلك [126] . في قوله تعالى : **{إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ}**[الأعراف: 115] فيحمل ما هنا على أنه قال لهم : ألقوا بعد أن قالوا هذا القول، ولم يكن ذلك من موسى (عليه السلام) أمراً لهم بفعل السحر، بل أراد أن يقهرهم بالحجة، ويظهرلهم أن الذي جاء به ليس هو من الجنس الذي أرادوا معارضته به[127] ، ففي قول موسى (عليه السلام)،استخفاف بما سيلقونه لأنه عبّرعنه بصيغة العموم، أي ما تستطيعون إلقاءه [128] .

لما القى السحرة حبالهم أقسموا**{بعزة فرعون}**[الشعراء:44] أي: بقوته التي يمتنع بها، والظاهر أن هذا قسم منهم بعزته عليه اللعنة على الغلبة وخصوها بالقسم هنا لمناسبتها للغلبة،وقسمهم على ذلك لفرط اعتقادهم في أنفسهم وإتيانهم بأقصى مايمكن أن يؤدي به من السحر[129] .

---

(124) أبو زهرة، المصدر السابق، ج 1، ص 5350.

(125) عبدالكريم زيدان،المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1، 1998م، ج 1، ص 326-327 .

(126) انظر : الصابوني، المصدر السابق، ج 2، ص 830.

(127) الشوكاني، المصدر السابق، ج 19،ص 1056 .

(128) ابن عاشور، التحرير والتنوير، المصدر السابق ،ج 19، ص 127.

(129) انظر: أبو السعود المصدر السابق ، ص 242.

وعدلوا عن الخطاب و الى الغيبة في قولهم **{بعزة فرعون}**[الشعراء:44] تعظيماً له، وهذا القسم من أنواع اقسام في الجاهلية [130].

واستأنف جملة **{إنا نحن الغالبون}**[الشعراء:44] بعد عن قولهم **{بعزة فرعون}**[الشعراء:44] كأن السامع وهو موسى أوغيره يقول في نفسه : ماذا يؤثر قولهم {بعزة فرعون}؟ اراد السحرة إلقاء الخوف في نفس موسى ليكون ما سيلقيه عن خوف نفس لأنهم يعملون أن الهزيمة من أكبر أسباب نجاح السحر وتأثيره على الناظرين[131].

وعندما ألقى موسى (عليه السلام) العصاه انقلبت حية عظيمة،فإذا هي تبتلع وتزدري الحبال والعصي، التي اختلقوها باسم السحر، حيث خيلوها للناس حيات تسعى،وسمى تلك الأشياء كذباً للمبالغة[132] ، و**{تلقف}**[الشعراء:45] بفتح اللام والتشديد ، والأصل **{تتلقف}** فحذفت إحدى التاءين . والتعبير لاستحضار السورة والدلالة على الاستمرار[133] ، وقوله **{مايأفكون}**[الشعراء:45] أي: ما يقلبونه من وجهه وصورته بتمويههم وتزويرهم فيخلون حبالهم وعصيهم أنها حيات تسعى[134].

ب - المظاهر البلاغية في خطاب النبي إبراهيم (عليه السلام) لقومه :

ذكر الله تعالى في أول السورة شدة حزن محمد (صلى الله عليه وسلم) بسبب كفر قومه ثم ذكر قصة موسى (عليه السلام) ليعرف محمد أن تلك المحنة كانت حاصلة لموسى ثم ذكر عقبها قصة إبراهيم (عليه السلام) ليعرف عظيم المحنة على إبراهيم أن يرى أباه وقومه في النار، وهو لايتمكن من إنقاذهم إلا بالدعاء والتنبيه[135]، وهذا خطاب للنبي (صلى الله عليه وسلم) ليخبر أهل مكة المشركين خطاب إبراهيم (عليه السلام) مع قومه [136]، ليقتدي به في الإخلاص والتوكل وعبادة الله وحده لاشريك له.

---

(130) الألوسي، المصدر السابق،ج 19، ص 127.

(131) ابن عاشور، التحرير والتنوير، المصدر السابق ،ج 19، ص 78.

(132) الصابوني، المصدر السابق ،ج 2، ص 831.

(133) الألوسي، المصدر السابق ،ج 19، ص 78.

(134) أبو السعود، المصدر السابق ،ج 6، ص 243.

(135) فخر الدين الرازي، المصدر السابق ، ج 24، ص 142.

(136) محمد طه الدرة ، المصدر السابق ، ص 583.

ولغة هذا النظم في هذا خطاب تجمع بين السهولة والجدالة في آيات قصيرة ، ذات صياغة هادئة ، وورد هذا الخطاب على أسلوبين :

أولاً: أسلوب الاستفهام ، وهو يحقق لإبراهيم (عليه السلام) مايرجوه من الإنكار على قومه والأرشاد الى الصواب دون إثارة مشاعرهم وتفجير غيظهم [137].

كما في قوله تعالى: **{ إِذْ قالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ (70) قالُوا نَعْبُدُ أَصْناماً فَنَظَلُّ لَها عاكِفِينَ (71) قالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ (72) أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ (73) قالُوا بَلْ وَجَدْنا آباءَنا كَذلِكَ يَفْعَلُونَ }**[الشعراء:70 _74] .

اي : أن خطاب النبي إبراهيم (عليه السلام) لقومه كان يدعوهم الى التوحيد وترك عبادة الأصنام بإثبات الكمال المطلق لله ، وذلك عن طريق الجملة الاستفهاميه ، لاتجد وسيلة أكثر عدلا لجلب قومه إلى الاعتراف بسلب تلك الأوصاف الكمالية عن الاصنام، والسؤال الاستفهام هنا عن الجنس وليس المعرفة،وانما وهو تنبيه للقوم على سوء فهمهم كان يدرك حقيقة وضعهم، فأراد بالاستفهام افتتاح المجادلة معهم وسأل هذا السؤال ليكونوا هم المبتدئين لشرح حقيقة عبادتهم وثنيتهم ، ولباطل يشعربما فيه من بطلان عند نظم بمعنى أكثر مما يسمعه، ولأنه يعلم أن جوابهم ينشأ عنه مايريده من الاحتياج على فساد دينهم[138] .

و**{قالُوا نَعْبُدُ أَصْناماً فَنَظَلُّ لَها عاكِفِينَ}**[الشعراء:71] ولم يقتصروا على الجواب الكافي بأن يقولوا **{أصناما}**، كما في قوله تعالى: **{وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ}**[البقرة :219] ، وقد اطنبوا من إظهار الفعل ، وعطف دوام عكوفهم على اصنامهم قصداً إلى إبراز نفوسهم الخبيثة من الابتهاج والافتخار بذلك ، والمراد بـ **{نظل}** الدوام ، وقيل كانوا يعبدونها دوناً بالنهار و دوناً الليل ، وصلة العكوف كلمة على إيراد اللام لإفادة معنى زائدة كأنهم قالوا فنظل لأجلها مقبلتين على عبادتها أو مستديرين حولها ، وهذا أيضاً من جملة إطنابهم [139] .

(137) الشحات محمد أبو ستيت ، خصائص النظم في قصة إبراهيم (عليه السلام) ، ط 1، 1991م، ص 242.
(138) انظر: عاشور، التحرير والتنوير، المصدر السابق، ج 19، ص 138.
(139) أبو السعود، المصدر السابق ، ج 6، ص 247 .

واستأنف إبراهيم (عليه السلام) خطابه من خلال سؤالهم بقوله **{هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ،أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ }**[الشعراء:72_73] والسؤال هنا كسابقة مراد إبراهيم إبراهيم (عليه السلام) اي: يفتح الباب المجادلة القائمة على استنطاق العقل ، وغريزة ليعجزوا عن إثبات أنها تسمع ،أو تنفع ،أو تضر ، فيبطل بذلك استحقاقها للألوهية ، وينجيه الاستحقاق إلى ذي القدرة والهيمنة الذي يتصف بكل صفات الكمال والجلال، وهو البارئ عزوجل، وفي الخطاب إيجاز مضاف تقديره دعاءكم أي: هل يسمعون دعاءكم، وأشير إلى الظرف في قوله إذ تدعون ، وحذف معمول **{يضرون}** رعيا للفاصلة، ولما رجع القوم إلى أنفسهم وخاطبوا عقولهم وفطرتهم اعترفوا بأنها بمعزل عما ذكر من السمع، والمنفعة، وأن صنيعهم بها ليس إلا فعل الآباء الذين كانوا يعبدونها فاقتدوا بهم **{بَلْ وَجَدْنا آباءَنا كَذلِكَ يَفْعَلُونَ }**[الشعراء: 74] وفي قولهم تشبيه فعل الآباء بفعلهم،وهونعت لمصدرمحذوف والتقدير: يفعلون فعلاً كذلك الفعل، وقدم الجاروالمجرور على يفعلون للاهتمام بمدلول اسم الإشارة(140) .

ثانياً: أسلوب الخبر، وعن طريقة أمكنة الثناء على ربه ، بأفعاله وصفاته ، وعرف قومه برب العالمين القادر الحكيم(141) .

ثم استانف إبراهيم (عليه السلام) ، الخطاب بجملة استفهامية التي تعجب وحذر وأنه لا يهتم بهذه اكتراثه بتلك الأصنام لكونه لاتسمع ، ولاتنفع، فأعلن عداوته لها من أي نفع أو ضر، وذلك بالبرهان المادي، إذ لوكانت غير ذلك لعاقبته على معاداته لها ، وإذ لم تفعل شيئاً من ذلك فهي عند العقلاء غير جديرة بصرف أي نوع من أنواع العبادات إليها.

كما في قول تعالى: **{قالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (75) أَنْتُمْ وَآباؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ (76) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلاَّ رَبَّ الْعالَمِينَ (77) الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (78) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (79) وَإِذا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (80) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (81) وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ }**[الشعراء: 75_82] .

فعندما أعلن عداوته لمعبوداتهم استثنى من جملة ذلك رب العالمين الذي يتميز بكل صفات الكمال المطلق التي منها الخلق ، والإرشاد والتغذية ، والسقاية ، والشفاء من كل مرض، والإماتة والإحياء ، والغفران من الخطايا.

---

(140) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، المصدر السابق ، ج 19، ص 140.

(141) الشحات محمد أبو ستيت ، المصدر السابق ، ص 242.

وسرد إبراهيم (عليه السلام) هذه الصفات في جمل تسع معطوفة بعضها على بعض، وقد كرر الموصول في المواقع الثلاثة مع كفاية عطف ما وقع في حيز الصلة من الجمل الست على موصول الأول ايذاناً بأن كل واحد من تلك الصلات نعت جليل مستقل في إثبات أحقيته للألوهية وحده دون غيره لا يستطيع أن يقوم بشيءمن هذه الصفات ، ولاشيء منها قائم بأحد غيره، وفي تقديم المسند إليه الضمير (هو) على الخبر الفعلي في قوله (فهو يهدين) ، وقوله هو يطعمني، ويسقيني، وقول يشفين إشارة إلى تخصيصه سبحانه وتعالى بالهداية ، والإطعام ، والسقاية، والشفاء دون غيره من مخلوقاته، وفي هذا القصر قلب لما يعتقدون من أن أصنامهم تفعل ذلك كله ، فالقصر إضافي إذن والفاء في قوله(فهو يهدين) تفيد معاقبة الهداية ، ومعاده ، وعبر بالمضارع في قوله تعالى (يهدين) وكذا في يطعمني، ويسقين لافادة تجدد الحدوث [142] .

وأسند إحداث فعل المرض إلى نفسه تأدباً مع الله[143]، ولأن متسبب فيه بتناول طعام فاسد أو تعرض، للبرد، للحر، أو ماشابه ذلك من الأشياء المسببة للمرض، وعطف جملة يحيين على يميتني بثم لافادة التراخي الزمني بين الإماتة والإحياء الذي هو البعث[144] .

وفي قوله تعالى : {وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (2) مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ}[الشعراء: 92_93] .

والمعنى:{وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ}[الشعراء:92]{مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ}[الشعراء: 93] ؟ أي: أين آلهتكم التي عبدتموها من دون الله من تلك الأصنام، هل ينفعونكم بنصرتهم لكم ويمنعونكم من العذاب، وهل ينفعون أنفسهم[145] والاستفهام في قوله {**أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ** }[الشعراء:92] استفهامٌ عن تعيين مكان الأصنام إن لم تكن حاضرة، أو عن عملها إن كانت حاضرةً في ذلك الموقف، لعدم جدواها فيما كانوا يأملونه منها تهكُّمًا وتوبيخًا وتوقيفًا على الخطَأ ،والاستفهام الإنكاري في قوله **{هل ينصرونكم}**[الشعراء:93] أن تكون الأصنام نصراء والانتصار طلب النصير، و(أين ما) موصولة نون (أَيْن) بميم (مَا) والمتعارف في

(142) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، المصدر السابق ، ج 19، ص 142.

(143) محمود الصافي، المصدر السابق، ص 88.

(144) ابن عاشور، التحرير والتنوير، المصدر السابق ،ج 19، ص 143.

(145) وهبة بن مصطفى الزحيلي، تفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج دار الفكر المعاصر - دمشق ،ط . د، 1418هـ ،ج 19، ص 178.

الرَّسم القياسيِّ أَنَّ مثله يكتب مفصولًا لأَنَّ (ما) هنا اسمٌ موصولٌ وليست المزيدة بعد (أين) التي تصير (أين) بزيادتها اسم شرط لعموم الأمكنة[146] .

وضمائر **{ينصرونكم وينتصرون}** [الشعراء: 93] عائدة إلى {ماتعبدون} بتنزيليها منزلة العقلاء، وجنود إبليس : أولياؤه ، وأصناف أهل الضلالات التي هي من وسوسة إبليس [147] .

يقول سبحانه و تعالى: **{قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ (96) تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (97) إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (98) وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ (99) فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ (100) وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ (101) فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ }**[الشعراء: 96_102] .

و المعنى في قوله :**{قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ (96) تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ}**[الشعراء:96_97]على أن الله ينطق الأصنام فتخاصم العبدة ويؤيده الخطاب في قوله: **{ إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ }** أي: في استحقاق العبادة، ويجوز أن تكون الضمائر للعبدة كما في قالُوا والخطاب للمبالغة في التحسر والندامة، والمعنى أنهم مع تخاصمهم في مبدأ ضلالهم معترفون بانهماكهم في الضلالة متحسرون عليها[148] ويجوز أن يكون هذا خطاب إبراهيم (عليه السلام) أطنب به الموعظة لتصوير هول ذلك اليوم فتكون الجملة حالًا، أَو تكون مستأنفةً استئنافًا بيانيًّا ، ويمكن أَن يكون خطاب قصة إبراهيم انتهى عند قوله **{وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ }**[الشعراء: 95] أَو عند قوله تعالى: **{يَوْمَ يُبْعَثُونَ}**[الشعراء: 87] .

وجملة{**وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ**}[الشعراء:96] في موضع الحال، وجملة {**تَاللَّهِ**}[الشعراء:97] مقول القول وجملة :{**إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**}[الشعراء: 97] جواب القسم[149] ، و (إِنْ) في إِنْ كنَّا: هي المخفَّفة من الثَّقيلة، واللَّام فارقةٌ بينها وبين النَّافية، أَي: قالوا تالله إِنَّ الشَّأْن كوننا في ضلال واضح ظاهر، والمراد بالضَّلال هنا: الخسار والتَّبار والحيرة عن الحقِّ، والعامل في الظرف، هو كونهم في الضَّلال المبين[150].

---

(146) ابن عاشور، التحرير والتنوير، المصدر السابق، ج 19، ص 152.

(147) مصدر نفسه : ج 19، ص 152.

(148) البيضاوي ، المصدر السابق ، ج 4، ص 143.

(149) ابن عاشور، التحرير والتنوير، المصدر السابق ، ج 19، ص 152 -153 .

(150) الشوكاني، المصدر السابق، ج 19، ص 106.

وخطاب بعض العامَّة لبعض في قوله تعالى{**وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ**}[الشعراء:99]، وعنوا بالمجرمين أَئمة الكفر الّذين ابتدعوا لهم الشِّرك واختلقوا لهم دينًا والمناسب أَن يكون التَّعريف في {**المجرمون**} مستعملًا في كمال الإجرام فإنَّ من معاني اللَّام أَن تدلَّ على معنى الكمال.

ورتبوا بالفاء انتفاء الشَّافعين على جملة {**وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ**}[الشعراء:99] حيث أَطمعوهم بشفاعة الأصنام لهم عند الله مثل المشركين من العرب {**وَيَقُولُونَ هؤُلاءِ شُفَعاؤُنا عِنْدَ الله** }[يُونس: 18] أي : ليس لهم أحد يشفع لهم كما أن للمؤمنين الشفاعة في الآخرة من الملائكة والنبيين و المؤمنين فتبيَّن أَن لا شفاعة للمشركين ، وهذا الخبر لهم مستعمل في التوجع والتحسر[151].

والمعنى: في قوله تعالى: { **فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ** }[الشعراء:100_101] ، فرّق بين الشافع والصديق، فالشافع لا بُدَّ أن تطلب منه أن يشفع لك، أما الصديق وخاصة الحميم لا ينتظر أن تطلب منه، إنما يبادرك بالمساعدة، ووصف الصديق بأنه حميم؛ لأن الصداقة وحدها في هذا الموقف لا تنفع حيث كل إنسان مشغول بنفسه[152] .

فلن يسأل صديق عن صديقه فإذا لم تكُنْ الصداقة داخلة في الحميمية ، كما قال تعالى: {**يَوْمَ يَفِرُّ المرء مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وصاحبته وَبَنِيهِ لِكُلِّ امرئ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ**} **[عبس:34_37] .**

في قوله تعالى: {**وَلا صَدِيقٍ حَمِيمٍ**}[الشعراء:101] فإن الصديق الموصوف بصفة (حميم) هو الذي يفوق القرابة ويربو عليها ، فالحميم من الاحتمام، وهو الاهتمام ، أي يهمه أمرنا ويهمنا أمره. وقيل: من الحامّة وهي الخاصة من قولهم حامة فلان أي خاصته[153].

وقوله تعالى{**فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (102) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (103) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ**}[الشعراء: 102_104] .

---

(151) ابن عاشور، التحرير والتنوير، المصدر السابق ، ج 19، ص 154.

(152) محمد متولي الشعراوي، المصدر السابق ،ج 17، ص 10612.

(153) محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن الكريم، الإيمان، بيروت ، ط 4 ، 1418 هـ ،ج 19، ص 96.

ثم فرّعوا على هذا التحسر والندامة تمني أن يرجعوا الي الدنيا ليتداركوا أمرهم في الإيمان بالله وحده، و**(لو)** للتمني، وأصلها **(لو)** الشرطية، أي: معناها لو أرجعنا إلى الدنيا لآمنا، ولكنه إذا لم يقصد تعليق الامتناع على الإمتناع تمحض (لو) للتمني لما بين الشيء الممتنع وبين كونه للتمني من المناسبة[154].

وهذه الآيات ختمت ببيان العبرة والعظة كما في قوله تعالى**{ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً، وَما كانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ }**[الشعراء:103_104] أي: إن المذكور من خطاب إبراهيم (عليه السلام) لقومه واختصام أهل النار وحسرتهم على ضلالهم لعبرة وعظة مؤثرة، ولم يكن أكثر قوم إبراهيم (عليه السلام) ، بل ولا أكثر الناس بمؤمنين بالله ورسله، وإن الله هو المنتقم الجبار الذي ينتقم من المعاندين الكفرة، الرحيم بالناس إذ لم يعجل لهم الانتقام، وإنما أمهلهم لعلهم يعودون إلى دائرة الحق والإيمان والتوبة[155].

ب- المظاهر البلاغية في خطاب النبي نوح (عليه السلام) مع قومه:

قال تعالى: **{ إِذْ قالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلا تَتَّقُونَ (106) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (107) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (108) وَما أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلى رَبِّ الْعالَمِينَ (109) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (110) قالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ (111) قالَ وَما عِلْمِي بِما كانُوا يَعْمَلُونَ(112) إِنْ حِسابُهُمْ إِلاَّ عَلى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ (113) وَما أَنَا بِطارِدِ الْمُؤْمِنِينَ (114) إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ مُبِينٌ }** [الشعراء: 105_115]

لما تلا الله تعالى على نبيه محمد (صلى الله عليه وسلم) ،خطاب موسى وإبراهيم(عليهم السلام) ،ثم اتبعها بذكر خطاب نوح (عليهالسلام) ثم خبّره بعد ذلك خطاب هود ،وصالح ،ولوط ، وشعيب (عليهم السلام) والهدف من كل ذلك واحد ، هو لتسلية رسوله فيما يلقاه من قومه ، وبيان لسنة الله في عقاب المكذبين فإن أقوام هؤلاء جميعآ كذبوا رسلهم فعوقبوا ، وقومك يامحمد كمن سبقهم ، فلا تحزن ولا تغتم [156]

(154) ابن عاشور، التحرير والتنوير، المصدر السابق،ج 19، ص 156.

(155) انظر : وهبة بن مصطفى الزحيلي،المصدر السابق ، ج 19، ص 182 .

(156) مصدر نفسه: ج 19، ص 184 .

وتبدأ خطاب النبي نوح (عليه السلام) بالتهديد المشار إليه بعبارة {**أَلاتَتَّقُون**}[الشعراء:106] التي تشير إلى شخصيته في التبليغ عن ربه بأنه رسول أمين، كما في قوله تعالى {**إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلا تَتَّقُونَ** }[الشعراء106] (أخوهم)، أي نسيبهم نوح ألا تتقون الله وتعبدون غيره إني لكم رسول من جهة الله سبحانه وتعالى . (أمين) مشهور بالأمانة فيما بينكم ، و{**فاتقوا الله واطيعون**}[الشعراء:108] أي: فيما أمركم به من التوحيد والطاعة لله تعالى ، {**وما اسألكم عليه**}[الشعراء:109] من الدعاء والنصح، و (من أجر) أصلاً إن أجري فيما تولاه إلا على رب العالمين، والفاء في قوله تعالى: {**فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ**}[الشعراء:108] لترتيب مابعدها على ما قبلها[157] .

وجملة {**وَما أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ**}[الشعراء:109] عطف على جملة {**إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ**}[الشعراء:107] أي: تعلمون أني أمين وتعرفون أني لا أطلب من دعوتكم نفعاً لنفسي ، وقوله تعالى: {**إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلى رَبِّ الْعالَمِينَ**}[الشعراء:109] تعليل لنفي الطمع فيما بأيديهم أو لسؤاله الأجر على دعوته[158] وكرّر جملة {**فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ**}[الشعراء:110] لزيادة التأكيد والتنبيه على أن كلاً منهما مستقلٌ في إيجاب التقوى والطاعة فكيف إذا اجتمعا [159] .

وفي قوله: { **قالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ (111) قالَ وَما عِلْمِي بِما كانُوا يَعْمَلُونَ (112) إِنْ حِسابُهُمْ إِلاَّ عَلى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ (113) وَما أَنَا بِطارِدِ الْمُؤْمِنِينَ (114) إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ مُبِينٌ**} [الشعراء :111_115] .

وجملة {**قالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ**} استئناف بياني لما يثيره قوله تعالى: {**كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ**} [الشعراء :105]، من استشراف السامع لمعرفة مادار بينهم وبين نوح (عليه السلام) من حوار ، ولذلك حكيت مجادلتهم بطريقة : قالوا ، وقالوا . والقائلون : هم كبراء القوم تصدوا لمحاورة نوح (عليه السلام)، والاستفهام في قوله (أنؤمن) استفهام إنكاري، أي لانؤمن لك وقد اتبعك الأرذلون فجملة (اتبعك) حالية [160] .

والأرذلون :جمع الأرذل على القلة وعلى التكثير في قوله تعالى: {**الذين هم أراذلنا**} [هود : 27]، والرذالة والخسّة وإنما استرذلوهم لضعة نسبهم وقلة نصيبهم من الدنيا وقيل : كانوا من أهل

(157) انظر: أبو السعود، المصدر السابق، ج 6 ، ص 254.

(158) ابن عاشور، التحرير والتنوير، المصدر السابق ، ج 19، ص 159.

(159) محمود الصافي، المصدر السابق، ص 98.

(160) ابن عاشور ، التحرير والتنوير، المصدر السابق ، ج 19 ، ص159.

الصناعات الدنية كالحياكة والحجامة ، و(اتّبعك) بهمزة وصل وتشديد التاء على أنه فعل مضي من صيغة الافتعال ، والمعنى : أنهم كانوا من اتباعه أو كانوا أكثر أتباعه [161] .

وردّ نوح (عليه السلام) على كلام قومه عما أشير إليه من كلامهم أنهم لم يؤمنوا على نظر أي وما عملي إلا اعتبار الظواهر وبناء الأحكام علها دون التفتيش عن بواطنهم والشق على قلوبهم[162] ، وهنا الاستفهام للتنبيه أي إنهم لايعلمون ماكانوا يعملون لنيل رزقهم، وأنه لايهتم به، إنما لهمه فقط إجابة دعوته ، وما من التقوى والهداية ، وان نوحاً (عليه السلام) لايهتم بالذي كانوا يعملونه وهم مستمرون على عمله سواء كانوا يمتهنون صناعات صغيره أو كبيرة إنّ ذلك لا يعنيه[163] ، و (كان) زائدة [164]، وشمل قوله (بما كانوا يعلمون) وَما عِلْمِي بِما كانُوا يَعْمَلُونَ إنهم عملوه إخلاصاً أو طمعاً في طعمة وما عليَّ إلا اعتبار الظاهر[165] .

{وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ}[هود : 30]، والاستفهام هنا للنفي، بمعنى لا يوجد أَحد ينصرني من الله بأَن يمنع عنِّي ما أَستحقُّه من عقابه إن طردتهم بعد إيمانهم لي واتِّباعهم إيَّاي فيما بلَّغتهم عنه، وهو ظلمٌ عظيمٌ يقتضي العقاب الشَّديد بعدل الله تعالى - مهما تكن صفة من اقترفه، [166]، وكذلك يصرِّح به في قوله تعالى: **{فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ} [الانعام: 52]** أَفلا تذكَّرون أي أفلا تتفكرون فيما تقولون، وهو ظاهر الخطأ ؟، فإن لهم ربّا ينصرهم وينتقم لهم[167] .

وفي قوله تعالى: **{أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ مُبِينٌ}[الشعراء:115]** اي : ما أنا إلا رسول مبعوث لإنذار المكلَّفين وزجرهم عن الكفر والمعاصي سواء كانوا من الأعزاء أو الأذلاء، فكيف يتسنى طرد الفقراء لاستتباع الأغنياء و ما عليّ الا إنذاركم بالبرهان الواضح وقد فعلته وما عليّ استرضاء

---

(161) ابن عاشور، التحرير والتنوير، المصدر السابق ،ج 19،ص 160.

(162) أبو السعود، المصدر السابق، ج 6، ص 255، و انظر: محمد جمال الدين بن محمد القاسمي ،محاسن التأويل ،تحقيق ، محمد باسل عيون السود، ج 7، ص 465.

(163) أبو زهرة ، المصدر السابق ، ج 10، ص 5379.

(164) القرطبي، المصدر السابق ، ص 52 .

(165) البيضاوي ، المصدر السابق ، ج 4، ص 144 .

(166) محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الحسيني، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط .د، 1990 م ج 12، ص 56.

(167) المراغي، تفسير المراغي، المصدر السابق ، ج 12، ص 28 .

بعضكم بطرد الآخرين[168]، القصر في قوله تعالى **{إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي}**[الشعراء:113] قصر موصوف على الصفة والموصوف هو حسابهم والصفة هي على ربي ، لأن المجرور الخبر في قوة الوصف، فإن المجرورات والظروف الواقعة أخباراً تتضمن معنى المبتدأ وهو الحصول والثبوت المقدر في الكلام بكائن أو مستقر ،وعطف جملة **{وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ}**[الشعراء:114]على جملة **{وما علمي بما كانوا يعملون}**[الشعراء:112] ،**{أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ مُبِينٌ}**[الشعراء:115] استئناف في معنى التعليل، اي لأن وصفي يصرفني عن موافقتكم ، والمبين من إبان المتعدي بمعنى بيّن و القصر الإضافي هو قصر موصوف على صفة[169] .

ت- مظاهر البلاغية في خطاب النبي هود (عليه السلام) مع قومه:

قال تعالى: { إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلا تَتَّقُونَ (124) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (125) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (126) وَما أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلى رَبِّ الْعالَمِينَ }[الشعراء:124_127] .

جاء هذا القول على لسان نوح وهود وصالح ولوط وشعيب (عليهم السلام) للتنبيه إلى بعثة الأنبياء أسسها الدعاء إلى معرفة الله وطاعته فيما يقرب المدعو إلى الثواب ،ويبعد من العقاب وأن الانبياء مُجمِعُون على ذلك ، وإن اختلفوا في تفصيل الأحكام تبعاً لاختلاف الأزمنه والعصور ، وأن الانبياء منزهون عن مصالح الدنيوية لا يأبهون و لايجعلونها قبلة أنظارهم ومحط رحالهم [170] .

وفي قوله تعالى: **{أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ (128) وَتَتَّخِذُونَ مَصانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ (129) وَإِذا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ }** [الشعراء :128_130] .

والريع المكان المرتفع كانوا يبنون عند الطرق المشهورة بنياناً محكماً هائلاً باهراً لمجرد اللهو واللعب وإظهار القوة ولهذا أنكر عليهم نبيهم (عليه السلام) لأنه تضييع للزمان وإتعاب للأبدان واشتغال بما لايجدي في الدنيا ولافي الآخرة [171] والريع بكسر الراء- جمع

(168) أبو السعود، المصدر السابق، ج 6 ، ص 255.

(169) ابن عاشور، التحرير والتنوير، المصدر السابق، ج 19، ص 162 -163.

(170) المراغي، تفسير المراغي، المصدر السابق، ج 19، ص 86.

(171) أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي ، تفسير القرآن العظيم ، تحقيق ، سامي بن محمد السلامة ، دار طيبة ، ط 2، 1999م ،ج 6 ، ص 167.

ريعة. وهو الجبل أو المكان المرتفع عن الأرض[172] وقيل: المراد به أبراج الحمام كانوا يبنونها للهو واللعب والأكثرون على أن المراد به: المكان المرتفع ومنه: ريع النبات، وهو ارتفاعه بالزيادة[173]، في الآية {**أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ**}[الشعراء:128]؟ استفهام إنكاري،أي أتتبون بكل موضع مرتفع من الطريق ، بناءً شامخاً كالقلم ، لمجرد اللهو والعبث [174]، فأنكر عليهم البناء بإدخال همزة الإنكار على فعل تبنون مع أنهم لما بنوا ذلك ما أرادوا بفعلهم عبثاً ، فمناط الإنكار من الاستفهام الإنكار هو العبث بالبناء لأن الحكم إذا دخل على مقيد بقيد انصرف إلى ذلك القيد [175].

والمعطوف على الفعل المستفهم عنه هو جملة **{وَتَتَّخِذُونَ مَصانِعَ}**[الشعراء:129] ، لأنه داخل في حيز الإنكارومقيد بجملة الحال المقيد بها المعطوف عليه بناءً على أن الحال المتوسطة بين الجملتين ترجع الى كلتيهما، وجملة **{ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ}**[الشعر:129] مستأنفه، و(لعل) للترجي وهو طلب المخاطب شيئآ مستغرب الحصول والكلام تهكم بهم ، أي أرجو لكم الخلود بسبب تلك المصانع[176].

وفي قوله تعالى {**وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ**}[الشعراء: 130] الخطاب لعاد قوم هود، وهو وصف لحالهم لأنهم جبابرة في طغيانهم، والتجبر، يدفع إلى الأذى والسيطرة بالباطل، والتدابر والتقاطع وإن هذه حالهم، القوي فيهم يأكل الضعفاء، فالحقوق مهضومة، والباطل رافع رأسه فيهم[177] ،والبطش : معناه السطوة والأخذ بالعنف[178]

والمعنى **{وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ}**[الشعراء:130] إنكم تبطشون، فهو موجود كذلك، وإن قلت إنكم تبطشون، لأن (إذا) تفيد تحقيق وقوع الشرط بخلاف (إن)، فإذا قلت : (إن قام زيد

---

(172) حسن عز الدين بن حسين بن عبد الفتاح أحمد الجمل ، مخطوطة الجمل - معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ، ط 1 ،2008 م ج 2 ، ص 233.

(173) أحمد سيد طنطاوي ،التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نهضة مصر للطباعة ،القاهرة ، ط 1، ج 10، ص 265.

(174) الصابوني ، المصدر السابق، ج 2، ص 837.

(175) ابن عاشور ، التحرير والتنوير، المصدر السابق ، ج 19، ص 167.

(176) مصدر نفسه : ج19، ص 168.

(177) ابو زهرة ، المصدرالسابق، ج 10 ، ص 5384.

(178) الشوكاني ، المصدرالسابق، ج 19، ص 1063.

فقم) لا تدل على تحقيق وقوع الشرط ، لكن إذا قلنا : (إذا قام زيد فقم) ، فهذا معناه كأنه سيقوم، ولكن ليكن وقت قيامك وقت قيامه [179] .

وجبَّارين حال من ضمير بطشتم وهو جمع جبَّارٍ، والجبَّار: الشديد في غير الحق، فالمعنى إذا بطشتم كان بطشكم في حالة التَّجبُّر، أَي الإفراط في الأذى وهو ظلمٌ [180]، قال تعالى : {**إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّاراً فِي الْأَرْضِ وَما تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ**}[القصص: 19]

وفي قوله تعالى {**فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (131) وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِما تَعْلَمُونَ (132) أَمَدَّكُمْ بِأَنْعامٍ وَبَنِينَ (133) وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (134) إِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (135) قالُوا سَواءٌ عَلَيْنا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْواعِظِينَ (136) إِنْ هَذَا إِلاَّ خُلُقُ الْأَوَّلِينَ (137) وَما نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (138) فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْناهُمْ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً وَما كانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ** } [الشعراء : 131_139] .

ذكره الله تعالى مخبراً عن قول هود لقومه من عاد : اتقوا عقاب الله أيها القوم بطاعتكم إياه فيما أمركم ونهاكم وانتهوا عن اللهو واللعبوظلم الناس، وقهرهم بالغلبة والفساد في الأرض، واحذروا سخط الذي أعطاكم من عنده ما تعلمون، وأعانكم به من بين المواشي والبنين والبساتين والأنهار [181]،وقوله تعالى{**أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ (132) أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ (133) وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ** }[الشعراء:132_134]، ويحتمل الاستئناف، وجملة أمدكم الثّانية أخص من الأولى باعتبار متعلقيهما فتكون داخلة في الأولى[182]، أي أبدلت الثانية من الأولى تنبيهاً إلى نعم الله على عباده وهي أوفى مما قبلها لدلالتها عل المراد مع التفصيل من غير إحالة على علم المخاطبين لعنادهم واستكبارهم[183] ، وجملة {**إِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ** }[الشعراء:135]، تعليل لعدم تقواهم، وأَخاف عليكم عذاب إِنْ لم تتَّقوا، فإِنَّ الأمر بالشَّيء يجب النهي عن ضده، ويجوز العذاب أَن

(179) محمد بن صالح العثيمين، المصدرالسابق، ص 522 .

(180) ابن عاشور ،التحرير والتنوير، المصدرالسابق، ج 19، ص 168.

(181) محمد بن جرير بن يزيد أبو جعفر الطبري ، جامع البيان في تأويل القرآن ، المحقق: أحمد محمد شاكر،ج 19، ص 377 .

(182) عبد القادر بن عمر البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، تحقيق ،عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط .د،1997 م، ج 5، ص 207.

(183) المراغي ،علوم البلاغة ، المصدر السابق، ج 1، ص 168.

يريد به عذابًا في الدُّنيا توعَّدهم الله به على لسانه، ويجوز أَن يريد به عذاب يوم القيامة، ووصف يومٍ بـ (عظيم) على طريق المجازي العقلي، أَي : عظيمٌ ما يحصل فيه من الأهوال[184].

وقولـه تعـالى :**{قَـالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَـا أَوَعَظْتَ أَمْ لَـمْ تَكُنْ مِـنَ الْـوَاعِظِينَ إِنْ هَـذَا إِلَّا خُلُـقُ الْأَوَّلِـينَ. وَمَـا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ}**[الشعراء: 137] يقول سبحانه وتعالى : قالت عاد لنبيهم هودٍ (عليه السلام)،معتدل عندنا وعظك لنا وتركك الوعظ، لانؤمن بك ولن نصدقك على ما جئتنا به [185] وأخبروا ذلك على سبيل الاستخفاف وعدم الاهتمام بما خوّفهم به عليه السلام، وعدلوا عن أم لم تعظ الذي يقتضيه الظاهر للمبالغة في بيان قلة اعتدادهم بوعظه عليه السلام لما في خطابهم على ما في النظم الجليل من استواء وعظه وعدمه وهو عدم كونه من عداد الواعظين وجنسهم[186].

والهمزة للتسوية وتقدَّم ذكرها عند قوله: {**سَـواءٌ عَلَـيْهِمْ أَأَنْـذَرْتَهُمْ أَمْ لَـمْ تُنْـذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُـونَ**}[البقرة:6] و(سواء) اسم بمعنى الاستواء وهواسم مصدر دل على لزوم الإنذار والتذكرة ،واختلفت موصوفاته ومخبراته فإن وصف أو أخبر به كان ذلك كالمصدر فإن المراد به معنى اسم الفاعل للمبالغة و قيل (سَوَاءٌ) اسم بمعنى مثل تقول هم رجالٌ سواءٌ لزيد بمعنى مثل لزيد [187]. وهنا عُدي سواء بعلى وفي غير موضعٍ ولم يعلق بعنده ونحوها مع وإنه المقصود من الاستعلاء في مثله ، للإشارة إلى تمكُّن الاستواء عند المخاطب وإنه لا مصرف له ولا تردُّد له فيه والمعنى سواءٌ عندهم الإنذار وعدمه[188] .

واحتجوا على عدم اكتراثهم بكلامه بقولهم: {**إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ**}[الشعراء:137] ومن قرأ خلق الأوَّلين بالفتح فمعناه أَنَّ ما جئت به اختلاق الأَوَّلين، وتخرُّصهم كما في قوله : **{قَـالُوا أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ }**[الأنعام: 25] أَو ما خلقنا هذا إِلَّا خلق القرون الخالية نحيا كحياتهم ونموت كمماتهم

---

(184) ابن عاشور، التحرير والتنوير، المصدر السابق، ج 19، ص 170 .

(185) محمد بن جرير بن يزيد أبو جعفر الطبري تفسير الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن،تحقيق، عبد الله بن عبد المحسن التركي ،ج 17، ص 614.

(186) الألوسي، المصدر السابق، ج 10، ص 109.

(187) ابن عاشور، التحرير والتنوير،المصدر السابق، ج 19، ص 249.

(188) مصدر نفسه ،ج 19، ص249

ولا بعث ولا حساب [189]، وخلق الأولين بالضم عاداتهم في ادّعاء الرسالة، فيرجع الضمير إلى الأنبياء أو آبائهم، أي : تكذيبنا لك كتذيب آبائنا للأنبياء [190]، وفي قوله تعالى **{وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ}**[الشعراء: 137]،هو استفهام، وخاطبه بنعمة الله تعالى من الحياة الابدية وعدم التعذيب[191]

و الباء تأكيد لنفي التعذيب، وإن ذلك النفي يتكون من ثلاثة أمور:

1. يقررون أنهم لا يعذبون لغرورهم، وليس من شأنهم أن يعذبوا.
2. عدم التصديق بالبعث وتلك خلة الكافرين.
3. لو كان بعث فلن يكون العذاب نصيبهم، بل تكون حالهم في الآخرة هي حالهم في الدنيا، ذلك ما يأفكون به، وهم الضالون، ولقد كان الهلاك هو نهايتهم [192].

ج - المظاهر البلاغية في خطاب النبي صالح (عليه السلام) مع قومه :

يقول سبحانه وتعالى:**{ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ (146) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (147) وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ (148) وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً فَارِهِينَ (149) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (150) وَلا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ (151) الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ (152) قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (153) مَا أَنْتَ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (154) قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (155) وَلا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ (156) فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ (157) فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (158) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ)** [الشعراء:149_ 159]

وفي تأويل الخطاب في قوله تعالى: **{أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ (146) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (147) وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ (148) وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ (149) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ }**[الشعراء:146_150] .

---

(189) الرازي، فخر الدين ، المصدر السابق، ج 24، ص 523.

(190) النيسابوري، المصدر السابق، ص 625 .

(191) جلال الدين محمد بن أحمد المحلي ،وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ،تفسير الجلالين، دار الحديث ، القاهرة ، ط 1، ج 1 ، ص 591، وانظر: السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير،شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني ،مطبعة بولاق (الأميرية) ،القاهرة،1285 هـ ، ج 3، ص 379.

(192) أبو زهرة ، المصدر السابق، ج 10، ص 5387.

ذكره الله تعالى عن قول نبي صالح (عليه السلام) مخبراً قومه من ثمود: اي أيترككم يا قوم ربكم في هذه الدنيا آمنين، لا تخافون شيئاً ؟ **{فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ}**[الشعراء: 147] أي : في بساتين وعيون ماء. **{وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ}** [الشعراء:148] يعني بالطلع: الكُفُرِّي، واختلف أهل التأويل في معنى قوله (هَضِيمٌ) فقال بعضهم: معناه اليانع النضيج، وقال آخرون: بل هو المتهشم المتفتت(193)، أَنَّ نبي صَالِحً (عَلَيْهِ السَّلَامُ) خَاطَبَ قَوْمَهُ بأمور(194) :

1. كقوله تعالى**{أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هاهُنا آمِنِينَ }**[الشعراء: 146] أي : خاطب قومه بالاستفهام الإنكاري في قوله تعالى **{أَتُتْرَكُونَ فِي ما هاهُنا آمِنِينَ}** [الشعراء: 146] و(الهاء) للتنبيه، وهنا اسم اشارة للمكان القريب والمراد به الدنيا، أي : أترككم ربكم في هذه الدنيا آمنين مخلدين في النعيم، فيجب أن يعلموا أنهم مفارقون هذه الحياة(195).

وعطف جملة **{وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُها هَضِيمٌ}**[الشعراء: 148]على الجنات، وهو عطف الخاص على العام للعناية به، وإلا فهو داخل في الجنات فإن الزروع منها والنخيل كذلك (196).

2. وقوله تعالى: **{وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبالِ بُيُوتاً فارِهِينَ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ}**[الشعراء:149_150] أي: وتبنون البيوت المنحوتة فى الجبال أشراً وبطراً من غير حاجة إلى سكناها مع الجدّ والاهتمام فى بنائها، فاتقوا الله وأقبلوا على ما يعود عليكم نفعه فى الدنيا والآخرة من عبادة ربكم الذي خلقكم ورزقكم (197).

واعلم أَنَّ ظاهر هذه الآيات يدلُّ على أَنَّ الغالب على قوم هود هو اللَّذَّات الحاليَّةُ، وهي طلب الاستعلاء والبقاء والتَّفرُّد والتَّجبُّر، والغالب على قوم صالح هو اللَّذَّات الحسِّيَّة، وهي طلب المأكول والمشروب والمساكن الطَّيِّبة الحصينة (198).

3. وقوله تعالى{**إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ (51) وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ**}[الشعراء:151_152] أي: إنه عنى بالخطاب جمهور قومه

---

(193) الطبري، المصدرالسابق،ج 19، ص 388 .

(194) الرازي، فخر الدين، المصدر السابق، ج 24، ص 524 .

(195) محمود جومي ، المصدر السابق، ج 19، ص 488.

(196) محمد بن صالح العثيمين، المصدر السابق، ص 243.

(197) المراغي، تفسير المراغي، المصدر السابق ،ج 19، ص 91 .

(198) الرازي، فخرالدين ، المصدر السابق، ج 24، ص 525 .

وبالمسرفين كبراءهم وأعلامهم في الكفر والاضلال[199] والإسراف : الإفراط في شيء، والمراد به هنا الإسراف المذموم كلُّه في المال وفي الكفر، ووصفهم بأنَّهم يفسدون في الأرض، فالإسراف منوطٌ بالفساد[200].

وفي قوله تعالى: **{ قالَ هذِهِ ناقَةٌ لَها شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (155) وَلا تَمَسُّوها بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ (156) فَعَقَرُوها فَأَصْبَحُوا نادِمِينَ (157) فَأَخَذَهُمُ الْعَذابُ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً وَما كانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (158) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ }**[الشعراء:155_159]

فمعجزة نبي صالح (عليه السلام) هي الناقة التي أخرجها الله لقوم صالح (عليه السلام) من الصخرة، وذكر أن صالح (عليه السلام) جعل لها شرباً، أي: لها نصيب في الماء، ولكم نصيب منه معلوم ليس لكم أن تشربوا في الذي هو نصيبها ، ولاهي تشرب في اليوم الذي هو نصيبكم [201]، وأصبحوا نادمين على قتلها خوف العذاب ،لما رأوا أشراط العذاب الذي توعدهم به نبي الله صالح (عليه السلام) لم ينفعهم الندم لأن العذاب قد حل بهم سريعآ ،فلذلك عطف بفاء التعقيب على (نادمين) فأخذهم العذاب [202].

ح - المظاهر البلاغية في خطاب النبي لوط (عليه السلام) مع قومه :

يقول سبحانه وتعالى: **{أَتَأْتُونَ الذُّكْرانَ مِنَ الْعالَمِينَ (165) وَتَذَرُونَ ما خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْواجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عادُونَ (166) قالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ (167) قالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقالِينَ }**[الشعراء : 165_168]

كل الرسل يرسلون أولاً بتحقيق التوحيد في قوله تعالى: **{وَلَقَد بعثنَا فِي كل أمة رَسُولا أَن اعبدوا الله وَاجْتَنبُوا الطاغوت فَمنهمْ من هدى الله وَمِنْهُم من حقت عَلَيْهِ الضَّلَالَة}**[النحل :36] وهناك أنواع معينة من المعاصي يرتكبها بعض الأمم ويركز عليها الرُسل (عليهم الصلاة

(199) الألوسي، المصدر السابق، ج 19، ص 113.

(200) ابن عاشور، التحرير والتنوير، المصدر السابق، ج 19، ص 176.

(201) انظر: الشوكاني، المصدر السابق، ج 19، ص 1064.

(202) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، المصدر السابق، ج 19، ص 178.

والسلام) ففيما ذكر قوم لوط كان جرمهم هذه الفاحشة[203] ، ولهذا قال لوط (عليه السلام) في قوله تعالى: {**أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ (165) وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ**}[الشعراء:165_ 166]، أي أأنتم دون الناس جميعاً تفعلون هذه الفعلة الشنعاء، تعشقون الذكور وتتركون النساء اللاتي جعلهن الله حلاً لكم تستمتعون بهن ويستمتعن بكم، {**بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عادُونَ**} أي: بل أنتم قوم أحقّاء بأن توصفوا بالعدوان وتجاوز الحدود التي تُسيغها العقول وتبيحها الشرائع، بارتكابكم هذا الجرم الذي لم يخطر ببال أحد ممّن قبلكم[204] .

وكقوله تعالى{**أَتَأتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ**}[الشعراء:156] الاستفهام للاستنكارو كناية لطيفة، أي بمعنى التوبيخ و تقريع وبيان شناعة العمل، لأنه ضد الفطرة، وعبّر بالإتيان كإتيان الرجل المرأة، ولكنه في الدبر، فهو إفساد للفطرة، وأحسن من عبَّر عنه بالشذوذ الجنسي؛ لأنه دليل على فساد الفطرة وشناعة الفعل في ذاته، وقوله تعالى **{مِنَ الْعَالَمِينَ}**[الشعراء:156] أي: من أهل العلم، والمعرفة وذلك لا يرضى به إلا من هو أشد فساداً من الفاعلين، وإن ذلك يشيع ويكثر كلما فسدت الفطرة، وقد كثر هذا الفعل في الماضي و في قوم لوط، وكثر في الحاضرايضاً خاصة في قارة أوربا وأمريكا، وإنهم ليتركون الفطرة [205] .

وفي قوله تعالى {وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ} [الشعراء: 166] **وهذا يعني :** كانوا يباشرون هذه فعل أيضاً مع النساء في غير محلِّ الاستنبات، فقوله تعالى: **{نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أنى شِئْتُمْ}** [البقرة: 223] .

البعض يظنها على عمومها وأن **{أنى شِئْتُمْ}** [البقرة: 223] تعطيهم الحرية في هذه المسألة، ولكن الآية هي محددة لمكان الحَرْث واستنبات الطفل، وهذا محله الأمام لا الخلف.

لذلك قال بعدها: **{بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ}** [الشعراء: 166] والعادي هو الذي شُرع له شيء يقضي فيه إربته، فتجاوزه إلى شيء آخر حرَّمه الشرع[206] .

وَفِي الْإِتْيَانِ بِالْجُمْلَةِ الِاسْمِيَّةِ فِي قَوْلِهِ : **{أَنْتُمْ قَوْمٌ عادُونَ}** [الشعراء:166] دُونَ أَنْ يَقُولَوا : بَلْ كُنْتُمْ عَادِينَ، المُبَالَغَةُ فِي تَحْقِيقِ نِسْبَةِ الْعُدْوَانِ إِلَيْهِمْ . وفي إعادة نشر الأنباء دون أن يقتصروا

---

(203) محمد بن صالح العثيمين، المصدر السابق، ص 259.

(204) المراغي، تفسير المراغي، المصدر السابق، ج 19، ص 94.

(205) انظر: أبو زهرة ، المصدر السابق، ج 10، ص 5397.

(208) محمد متولي الشعراوي، المصدر السابق،ج 17، ص 10661 .

علـى التحـذير مـن العدوان عَلَـى العدواني علـيهم ،اي : أَنَّ الْعُدْوَانَ سَجِيَّةٌ فِيهِمْ حَتَّـى كَأَنَّـهُ مِـنْ مُقَوِّمَاتِ قَوْمِيَّتِهِمْ كَمَا تَقَدَّمَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : **{لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} فِي [سُورَةِ الْبَقَرَةِ :164] .**

وجواب قوم لوط كجواب قوم نوح لنوح (عليه السلام) إِلَّا أَنَّ قوم لـوط (عليـه السـلام) قالوا **:{ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ}**[الشعراء: 167] كما جاء في قوله تعالى **{قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَـهِ يَـا لُـوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ (167) قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ }**[الشعراء: 167_168] اي: هَدَّدُوهُ بـالخروج من مدينته لِأَنَّهُ لم يكن مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ بَلْ كَانَ مُهَاجِرًا بَيْنَهُمْ وَلَهُ صِهْرٌ فِيهِمْ.

وَصِيغَةُ مِنَ **{الْمُخْرَجِينَ}**[الشعراء:167] أَبْلَغُ مِنْ: لَنُخْرِجَنَّكَ، كَمَا تَقَدَّمَ فِي قَوْلِهِ: **{لَتَكُونَنَّ مِـنَ الْمَرْجُومِينَ}** [الشُّعَرَاء: 116] . وَكَانَ رد لُوطٍ (عليه السلام) عَلَى وَعِيدِهِمْ جَوَابُ مُسْتَخِفٍّ بِوَعِيدِهِمْ إِذْ أَعَادَ الْإِنْكَارَ قَالَ**:{ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ}**[الشعراء:168] أَيْ : مِنَ الْمُبْغِضِينَ. وَقَوْلُهُ: مِنَ الْقَالِينَ أَبْلَغُ فِي الْوَصْفِ مِنْ أَنْ يَقُولَ: إِنِّـي لِعَمَلِكُمْ قَـالٍ، كَمَـا تَقَدَّمَ فِـي قَوْلِـهِ تَعَـالَى: **{قَـالَ أَعُـوذُ بِـاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ} فِي [سُورَةِ الْبَقَرَةِ :67]** . وَذَلِكَ أَكْمَلُ فِي الْجِنَاسِ لِأَنَّهُ يَكُونُ جِنَاسًا تَامًّا فَقَدْ حَصَلَ بَيْنَ قَالَ وَبَيْنَ الْقَالِينَ جِنَاسٌ مُذَيَّلٌ وَيُسَمَّى مُطَرَّفًا(207) .

خ - المظاهر البلاغية في خطاب النبي شعيب (عليه السلام) مع قومه:

يقول سبحانه وتعالى: **{ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلا تَتَّقُونَ (177) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (178) فَـاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (179) وَما أَسْئَلُكُمْ عَلَيْـهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلى رَبِّ الْعالَمِينَ (180) أَوْفُـوا الْكَيْلَ وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ (181) وَزِنُوا بِالْقِسْطاسِ الْمُسْتَقِيمِ (182) وَلا تَبْخَسُوا النَّـاسَ أَشْـياءَهُمْ وَلا تَعْثَوْا فِـي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (183) وَاتَّقُوا الَّـذِي خَلَقَكُـمْ وَالْجِبِلَّـةَ الْأَوَّلِـينَ (184) قالُوا إِنَّما أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (185) وَمـا أَنْـتَ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنـا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِـنَ الْكـاذِبِينَ (186) فَأَسْقِطْ عَلَيْنا كِسَفاً مِنَ السَّماءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ }**[الشعراء: 176_187] .

وقوله تعـالى**{أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلا تَكُونُـوا مِـنَ الْمُخْسِـرِينَ (181) وَزِنُـوا بِالْقِسْطاسِ الْمُسْتَقِيمِ (182) وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ}**[الشعراء: 181_183]

(207) ابن عاشور، التحرير والتنوير، المصدر السابق، ج 19، ص 180.

بعد الدعوة إلى التوحيد أمرهم بايفاء الكيل ونهاهم عن التطفيف بأسلوب جمع لهم فيه أنواع الكيل الثلاثة فالكيل على ثلاثة ، أضرب، واف ، وطفيف، وزائد فأمرهم بالواجب الذي هو الإيفاء بقوله: (أَوْفُوا الْكَيْلَ) ، ونهى عن المحرم الذي هو التطفيف ، بقوله (**وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِين**) ، ولم يذكر الزائد لانه و إن لم يفعله فلا إثم عليه[208].

والبلاغة الإطناب في قوله تعالى{**أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ**}[الشعراء:181]،لأن وفاء الكيل هو في نفسه نهي عن الخسران، وفائدته زيادة التحذير من العدوان[209] .

وقوله {**وَزِنُوا بِالْقِسْطاسِ الْمُسْتَقِيمِ**}[الشعراء:182] أي : وزنوا بالميزان السوي العدل[210]، وقد جاء في سورة المطففين مثل هذا مع التحذير منه فقال{**وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ(1) الَّذِينَ إِذَا اكْتالُوا(2) عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ(3) وَإِذا كالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ(4) أَلا يَظُنُّ أُولئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ**}[المطففين:1_5] .

ثم نهاهم عن البخس في قوله تعالى{**وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْياءَهُمْ**}[الشعراء:183] أي: لا تنقصوهم حقوقهم ، البخس يتعدى إلى مفعولين وهما (الناس وأشياءهم) يقال: بخست زيداً حقه أي نقصته إياه وإنما قال اشياءهم للتعميم تنبيها على أنهم كانوا يبخسون الجليل والحقير والقليل والكثير[211]. وقوله {**وَلا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ**}[الشعراء:183] أي: ولاتبالغوا فيهم في الإفساد نحو قطع الطريق والغارة والإهلاك وكانوا يفعلون ذلك فنهوا [212]، و(**مفسدين**) حال مؤكدة، وجوزأن يكون المراد آخرتهم فتكون حالاً مؤسسة[213] .

وفي قوله تعالى {**وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ**}[الشعراء:84] أكّد قوله في صدر الخطابة {**فاتقوا الله**}[الشعراء:179] بقوله هنا {**وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ**}[الشعراء:84] وزاد فيه دليل استحقاقه التقوى بأن خلقهم وخلق الأمم من قبلهم ، وباعتبار هذه الزيادة أدخل حرف

(208) الرازي، فخرالدين، المصدر السابق،ج 24 ،ص 163.

(209) الصابوني، المصدر السابق، ج 2، ص 842.

(210) المراغي، تفسير المراغي، ج 19، ص 100.

(211) محمد ثناء الله المظهري ، المصدر السابق، ج 3، ص 383.

(212) أبو البركات ، النسفي ، المصدر السابق ، ج 2، ص 580.

(213) الألوسي، المصدر السابق، ج19، ص 119.

العطف على فعل (اتقوا) ولو كان مجرد تأكيد لم يصح عطفه، في قوله{**الَّذِي خَلَقَكُمْ** }[الشعراء:84] إيماء إلى نبذ اتقاء غيرشركائهم[214]، و(الأولين) أي: الأمم الأولين الذين كانوا على خلقه وطبيعة عظيمة كأنها الجبال صلابة [215].

وفي قوله تعالى:{**قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (185) وَمَا أَنْتَ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (186) فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفاً مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (187) قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ (188) فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (189) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (190) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ**}[الشعراء: 185_191]

كان ردّهم مثل رد قوم صالح (عليه السلام) تماماً فالجواب واحدٌ، فزعموه مسحوراً، أي: مختل الإدراك والتصورات من جرّاء سحر سلط عليه . وذلك كناية عن بطلان أن يكون ماجاء به رسالة عن الله، وصيغة من المسحّرين من المبالغة ما تقدم في قوله: من **{المرجومين}**[الشعراء: 116] ومن**{المسحرين}**[الشعراء:153] ومن **{المخرجين}** [الشعراء:167] والإتيان بواو العطف في قوله : وما أنت بشر مثلنا يجعل كونه بشراً إبطالاً ثانياً للرسالة. والعطف في قصة ثمود يجعل كونه بشراً حجةً على أن مايصدر منه وحياً من الله بل هو من تأثير كونه مسحوراً[216].

وقول **{وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ}**[الشعراء:186] إن هي المخففة من الثقيلة عملت في ضمير شأن مقدر، واللام هي الفارقة: أي فيما تدّعيه علينا من الرسالة، وقيل: هي النافية ، واللام بمعنى إلا أي: ما نظنك إلا من الكاذبين[217] .

وفي قوله تعالى: {**فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفاً مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ**}[الشعراء:187] كان بني شعيب (عليه السلام) يتوعدهم بالعذاب إن لم يؤمنوا، فقالوا له، إن كنت صادقاً في تهديدك ووعيدك بأننا سنعذب ، فأنزل علينا قطعاً من السحاب فيها نوازك العذاب، وماكان طلبهم ذلك إلا لتصميمهم على الجحود والتكذيب والعناد واستبعادهم وقوع العذاب[218] .

---

(214) ابن عاشور التحرير والتنوير، المصدر السابق، ج 19، ص 185.

(215) محمود جومي، المصدر السابق، ص 491.

(216) ابن عاشو، التحرير والتنوي، المصدرالسابق، ج 19، ص 186.

(217) الشوكاني، المصدر السابق،ج 19، ص 1066.

(218) وهبه بن مصطفى بن الزحيلي ، المصدر السابق، ج 19،ص 214.

فأجابهم شعيب (عليه السلام) في قوله تعالى{**قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ**}[الشعراء:188] فيجازيكم به، فإن شاء عجّل لكم العذاب، وان شاء أخّره إلى أجل معلوم، وما عليّ إلا البلاغ، وأنا مأمور به، فلم أنذركم من تلقاء نفسي، ولا أدّعي القدرة على عذابكم[219] ، فكذبوه فاستمروا في تكذيب، وأصروا على ذلك فأمطرت عليهم نارٌ فهلكوا، وقد أصابهم الله بما اقترحوا[220]، وقوله{**إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ**}[الشعراء:189] أي: في شدة هول وفظاعة ماوقع فيه من الطامة والداهية التامة[221] .

وفي قوله تعالى: {**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (190) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ**}[الشعراء:190_191]

لقد كرّر هذه الآية في نهاية كل خطاب الأنبياء (عليهم السلام) السبعة الذين ذكرهم الله على رسوله محمد (صلى الله عليه وسلم) لصرفه عن الحرص على إسلام قومه ، وقطع رجائه ، ودفع تحسره عليهم كما قال في أول السورة {**لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلاَّ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ** }[الشعراء:3] ففيها تسلية لرسول الله (صل الله عليه وسلم) ، وتخفيف على أحزانه وآلامة ، وإنما كررفي نهاية كل خطاب ليكون ذلك أبلغ في الاعتبار وأشد لذوي القلوب والابصار[222] .

(219) المراغي، تفسير المراغي، المصدر السابق ،ج 19، ص 101.

(220) الشوكاني، المصدر السابق،ج 19، ص 1066.

(221) الألوسي ، المصدر السابق ، ج 19،ص 1120.

(222) الصابوني، المصدر السابق، ج 2 ، ص 841.

3. مظاهر بلاغة خطاب الله لغير معين:

يقول سبحانه وتعالى{**أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (205) ثُمَّ جاءَهُمْ مَا كانُوا يُوعَدُونَ (206) مَا أَغْنى عَنْهُمْ مَا كانُوا يُمَتَّعُونَ** }[الشعراء: :205_207]

أي: أخبرني يا محمد إن متعناهم سنين طويلة، مع وفور الصحة ورغد العيش ، والخطاب ليس للرسول (صلى الله عليه وسلم) بل لكل من يتوجه إليه الخطاب[223] .

والاستفهام في قوله تعالى{**أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ**}[الشعراء:205] للتقريرو(ما) في قوله {**مَا أغنى عَنْهُمْ**}[الشعراء:207] استفهامية، وهو استفهام مستعمل في الإنكار ، أي: لم يغن عنهم شيئاً، وجملة {**إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ**}[الشعراء:205] معترضة وجواب الشرط محذوف دلّ عليه ماسد مسد مفعولي (**رأيت**) {**وثم جاءهم**}[الشعراء:106] معطوف على جملة الشرط المعترضه، و(ثم) فيه للترتيب والمهلة، أي جاءهم بعد سنين. { **مَا كانُوا يُوعَدُونَ** }[الشعراء:106] موصولة وصلته والعائد محذوف تقديره: يوعدونه [224] .

وجمله {**مَا أغنى عَنْهُمْ**}[الشعراء:207] أي: شيء أو أي إغناء أغنى عنهم، و{**مَا كانُوا يُمَتَّعُونَ**} [الشعراء:207] أي: كونهم ممتّعين ذلك التمتع المديد على أن مصدرية أو ماكانوا يمتعون به من متاع الحياة الدنيا على أنها موصولة حذف عائدها[225] . و(**ماكانوا**) الاستفهام للنفي والانكار، وقيل (**ما**) نافية،أي: لم يغن عنهم ذلك في دفع العذاب وتخفيفه، والأول أولى لكونه أوقف لصورة الاستخبار وأدل على انتفاء الإغناء على أبلغ وجه[226] .

وفي مثال آخر يقول سبحانه وتعالى {**فَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ**}[الشعراء:213] ، فقول تعالى {**فَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ**}[الشعراء:213] خطاب لغير معيَّن فيعم كلَّ من يسمع هذا الكلام، ويجوز أَن يكون الخطاب موجَّهًا إلى النَّبي (ص)،لأنَّه المبلِّغ عن الله تعالى

(223) انظر: مصدر نفسه، ج 2، ص 843.

(224) ابن عاشور، التحرير والتنوير، المصدر السابق، ج 19، ص 196.

(225) أبو السعود، المصدر السابق، ج 6، ص 267.

(226) الألوسي، المصدر السابق، ج 19، ص 130.

فللاهتمام بهذا النَّهي وقع توجيهه إلى النَّبي(ص) مع تحقُّق أَنَّه منته عن ذلك[227] ، والمقصود بالنهي أتباعه رسول(صلى الله عليه وسلم) إذ هو مقطوع بعدم دعواه غير الله تعالى معه[228]، ونظير هذا قوله تعالى: **{وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [الزمر: 65]** . والمقصود من مثل ذلك الخطاب غيره ممَّن يبلغه الخطاب ،وقوله تعالى: **(فَتَكُونُوا مِنَ الْمُعَذَّبِينَ)** الفاء السببية (فتكون) أي: إن دعوت مع الله إلهاً آخر (من المعذبين) ، ولم يقل مُعذباً أو : ستعذب ، إشارة إلى أن المشركين الكفار كثيرون و الذي يدعو مع الله إلهاً آخر يكون منهم [229] .

(227) ابن عاشو، التحريروالتنوير، المصدر السابق، ج 19، ص 200.

(228) محمود جومي، المصدر السابق، ج 1، ص 493.

(229) محمد بن صالح بن العثيمين، المصدر السابق، ص 303.

الفصل الثاني: بلاغة الخطاب في سورة النمل

1. بلاغة خطاب النملة مع قومها
2. خطاب الهدهد مع نبي الله سليمان (عليه السلام)
3. خطاب النبي سليمان (عليه السلام) للملكة سبأ
4. خطاب ملكة بلقيس لأشراف قومها
5. خطاب سليمان عليه السلام مع أشراف قومه

1. بلاغة خطاب النملة مع قومها :

يقول سبحانه وتعالى: **{ حَتَّى إِذا أَتَوْا عَلى وادِ النَّمْلِ قالَتْ نَمْلَةٌ يا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَساكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ }[النمل: 18]**

وتظهر هذه الآية أن سليمان وجنوده كانوا من المشاة في الأرض، ومن ثم وافقوا على تحطيم النمل، وكانوا على الأرجح في الكرسي المتحرك مع الريح[230].

والمعنى وادي النمل : هو المكان الذي يكثر فيه النمل ويسمي هذا المكان وادي النمل، كما يقال: بلاد الثلج لبلد يكثر فيه الثلج، والمراد هنا: واد بالشام أو بالطائف كثير النمل، والمشهور أنه النمل الصغير. وقيل: كان نمل ذلك المكان كالذئاب، ولذلك قال بعضهم: (في وادي النمل)، هو واد يسكنه الجن والنمل مراكبهم،و إن كل أرضٍ فيها النمل، يقيم فيه ويتخذ له مكانا ، يكون كالوادي له، ووقف القراء جميعهم على (وَاد) بدون ياء إتباعًا للرسم، حيث لم يكن الحذف عندهم للالتقاء الساكنين[231].

وسميت نملاً لتنمّلها أَي: لكثرة حركتها[232]، والنَّمل : هنا هو المؤنث الحقيقي، دليل للقبض على علامة الأنوثة، لأن النمل يُسّمى الذكور والإناث، إذا كان من المقرر أن يكون مميزاً، ويقال: النمل الذكور والنمل الإناث نحو: حمامة وحمام[233].

كما قال الزمخشري : (وذلك أنَّ النَّملةَ مثل الحمامة والشاة في وقوعهما على المذكَّر والمؤنث فيميَّز بينهما بعلامة نحو قولهم: حمامة ذكر وحمامة أُنثى، وهو وهي) [234] .

---

(230) انظر: ابن عطية الأندلسي، لأبي محمد عبدالحق بن عطية ، تفسير ابن عطية المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، دار إبن حزم،ط.د ، ج 4 ، ص 254.

(231) محمد الأمين بن عبد الله الأرمي الهرري ،تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن ، تحقيق،هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دارطوق النجاة، بيروت، ط 2001،1م، ج 20، ص 400 -401.

(232) أبو المظفر، منصور بن محمد السمعاني،تفسير القرآن، تحقيق، ياسر بن إبراهيم ،وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، السعودية، ط 1، 1997م ، ص 85.

(233) انظر: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بالسمين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق ،الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق،ج 8، ص 584.

(234) الزمخشري، المصدر السابق،ج 3، ص 356.

والنمل: اسم جنس للحشرات الصغيرة مع ستة أرجل التي تعيش في الشقوق من الأرض. وهي أصناف مختلفة الحجم، والواحدة منها هي نملة. كلمة النمل يعني فرد واحد فقط من هذا النوع، دون أي علامة على تذكير أو تأنيث[235]

وفهم نبي سليمان(عليه السلام) كلام النملة التي تكلمت ، ولو لم يعلم اللهُ سليمان كيف يفهم كلامها لما عرفنا أنها تكلمت: {**قَالَتْ نَمْلَةٌ يأيها النمل ادخلوا مَسَاكِنَكُمْ لاَ يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُوَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ**}[النمل: 18]، والنملة كانت تفهم ما يفعله البشر حين يدوسون على كائنات صغيرة دون أن يروها، ولكن سليمان نبي من أنبياء الله، ولن يعتدي على خلق الله، والنملة التي تكلمت كانت تحرس بقية النمل[236]

فالنملة كانت عاقلة لأنها خاطبت قومها مخاطبة العقلاء، أي: إنها أمرتهم بما يؤمر به العقلاء[237] ، أي : جاء الخطاب بالأمر،كخطاب من يعقل في قوله: ادخلوا وما بعده، لأَنّها أَمرت النَّمل كأمر من يعقل، وصدر من النَّمل الامتثال لأمرها[238]، وقوله تعالى{**قَالَتْ نَمْلَةٌ**}[النمل:18] جواب (إذا) كأَنَّها لما رأتهم متوجهين إلى الوادي فرَّت منهم فصاحت صيحة نَبَّهَتْ بها ما بحضرتها من النمل لمرادها فتبعها في الفرار فشبِّه ذلك بمخاطبة العقلاء ومناصحتهم فأُجروا مجراهم حيث جعلت هي قائلة وما عداها من النمل مقولا لهم حيث قيل: {**يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم**}[النمل :18] مع أنَّه لايمتنع أن يخلق الله تعالى فيها النُّطق وفيما عداها العقل والفهم[239]، والمساكن: هي الأمكنة التي يسكن النَّمل فيها،وقيل : النَّملَة التِي سمِعها سليمان هي أنثَى، بدليل تأنيث الفعل المسند إليها[240].

وفي قول تعالى:{ **يأَيُّهَا النَّمْلُ، ادْخُلُوا مَساكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمانُ وَجُنُودُهُ، وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ**}[النمل:18] فيه نداء وتنبيه وأمر بالدخول وبيان الملاذ والأمن، والإنذاروتخصيص سليمان ثم التعميم والاعتذار جيد وهي النملة التي جمعت في هذا الخطاب بين: النداء والتعيين

(235) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، المصدر السابق ،ج 19، ص 241.

(236) محمد متولي الشعراوي، المصدر السابق، ج 7، ص 4445.

(237) انظر: الصابوني، المصدر السابق، ج 2، ص 371 .

(238) أبو حيان ، المصدر السابق، ج 8، ص 220.

(239) أبوالسعود، المصدر السابق ، ج 6، ص 278.

(240) الشوكاني، المصدرالسابق، ج 4 ، ص 151.

والتنبيه والتخصيص والأمر وإضافة السكن لأصحاب العمل،والتجائهم إلى مساكنهم فلا يدخلون على غيرهم من الحيوانات، والإنذار والاعتذار بأوجز خطابٍ وأعذب لفظٍ[241] .

والنملة التي حذرت ودعت و نصحت قومها وعمّمت وأكدتْ كان خطابها مميزاً وبليغاً، وكل الكلماتها التي تقول فيها جوانب الخطاب ووجوه بلاغية ، والمهم هنا كيف عبر نملة عن ذلك ، وإنَّ التعبير عن قول النملة قد جمع أحدعشر جنساً وقد ذكرها السيوطي في كتابه (الإتقان) على أحد عشر نوعاً من البلاغة يتولد بعضها من بعض أي قالت قولاً مشتملاً على حروف وأصوات والمراد قالته على وجه النصيحة وقد اشتمل هذا القول منها على أحد عشر نوعاً من البلاغة[242] .

أولها: النداء بيا.
ثانيها: كنَتْ بأي.
ثالثها: نبّهت بها التنبيه.
رابعها: سمّت بقولها النمل.
خامسها: أمرتْ بقولها ادخلوا.
سادسها: نصّت بقولها مساكنهم.
سابعها: حذرت بقولها لا يحطمنكم.
ثامنها: خصّصت بقولها سليمان.
تاسعها: عمّمت بقولها وجنوده.
عاشرها: أشارت بقولها وهم.
حادي عشرها: عذرت بقولها لا يشعرون[243].

والاستعارة التمثيلية في قوله تعالى: **{قالَتْ نَمْلَةٌ يا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَساكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ}** كما لو ، رأت لهم يتوجهين إلى الواديهرب منهم ،

(241) انظر: أبو عبد الله محمد ابن قيم الجوزية ،اجتماع الجيوش الإسلامية على حرب المعطلة والجهمية ،تحقيق، زائد بن أحمد النشيري، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط 1، 1431 هـ ، ص 514.
(242) انظر: السيوطي، المصدر السابق ،ج 3، ص 165 .
(243) انظر: أبو الطيب صديق بن حسن ، المصدر السابق، ج 10، ص 25-26

خوفاً من الخسارة تليها الآخرين، وصاحوا صراخ تنبيه من قبل قرون النملة يتبع. فشبه ذلك بمخاطبة والعقلاء ومناصحتهم، وبالتالي أجروا دراساتهم ، حيث جعلوا القول والنمل الآخرفي كلماته مقولا له، فيكون الكلام خارجا مخرج الاستعارة التمثيلية، ويجوز أن يكون استعارة مكنيه [244]

وترى الباحثة أن هذه النملة لم تنج منفردة، ولم تنس خطرما رأته من عظمة ذلك الجندي، محذرة بنات جنسها، مع العلم أنها لا حياة لها بدونهم ، والخطر الوشيك لتذكر عذر سليمان وجنوده، في قوله **{وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ }**وهذا يعلمنا أن حياة الشخص، مهمة مثل حياة شعبه ويجب عليه الشعور بالآخرين والأنتماء لهم حتى يكون واحداً منهم ، وهذا النمل وشعبه قام بواجباته فالواجب على المؤمن حماية أخوته وشبه ، وإرادة الخير للجميع.

(244) انظر: محمود صافي ، المصدر السابق ، ج 19، ص 155.

2. خطاب الهدهد مع نبي سليمان (عليه السلام):

يقول سبحانه وتعالى: **{ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ (22) إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (23) وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ (24) أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (25) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (26) قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (27) اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (28)}** [النمل:22 - 28]

الهدهد: نوع من الطُّيور التي تنتن، ورائحته نتنة وفوق رأسه قزعة سوداء، وهي براثن سوداء ، والجفون الصفراء ، وتناول الحبوب والدُّود، يرى الماء من مسافة ويشعر به في باطن الأرض، إذا ترفرف على مكان عُرف أَنَّ فيه الماء، وهذا سبب اتِّخاذه في جند سلَيمان[245].

{فَقَالَ}[النمل:22] بالفاء الدالة على التعقيب؛ لأنه رأى سليمان غاضباً مُتحفِّزاً لمعاقبته، وفي خطابه له، حذّره من أنه في أدنى خلق الله وقد أحاط علماً بما لم يحط هو به ، وجئتك من سبإٍ القبيلة أوالبلدة، بنبإٍ يقين بخبرمتحقق[246]، فأخذها قبل أن ينطق بها، وقبل أن يكسرها، **{أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ}**[النمل:22] أي: عرفت ما لم تعرف هذا الكلام موجَّه إلى سليمان الذي هو ملك كل العالم. ليس لديه أخبار لا يعرفها؛ لذلك ذهل سليمان من مقالة الهدهد وتشوَّق إلى ما عنده من أخبار لا يعرفها هو[247].

ثم يستمر الهدهد: **{وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ}**[النمل:22] أي: وأتيتك من مدينة سبأ - باليمن - بخبرٍ مهم ، وأمر صادقٍ وخطير **{إِنِّي وَجَدتُّ امرأة تَمْلِكُهُمْ}**[النمل:23] أي من عجائب ما رأيت أن امرأة تدعي بلقيس - هي ملكة لهم، وهم مطيعون لها **{وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ}**[النمل :23] أي وأُعطيت كل شيء واحدة الأشياء التي الملوك تحتاج من أسباب العالم هو وفرة من المال وفرة من الرجال ووفرة الأسلحة والعتاد **{وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ}**[النمل :23] الذي يحتوي على سرير كبير والياقوت، ثم أخذ ليقول له عن ما هو أكبر وأكثر خطورة فقال: **{وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ**

(245) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، المصدر السابق، ج 19، ص 245.

(246) انظر: البيضاوي، المصدر السابق، ج 4، ص 158.

(247) انظر: محمد متولي الشعراوي ،المصدر السابق ، ج 17، ص 10768- 10769 .

لِلشَّمْسِ مِن دُونِ الله}[النمل :24] أي: وجدتهم جميعاً مجوساً يعبدون الشمس دون الله **{وَزَيَّنَ لَهُمُ الشيطان أَعْمَالَهُمْ}**[النمل:24] إبليس وعبادتهم الشمس وسجودهم لها من دون الله **{فَصَدَّهُمْ عَنِ السبيل}**[النمل:24] أي: منعهم بسبب هذا الضلال عن طريق الحق والصواب **{فَهُمْ لاَ يَهْتَدُونَ}**[النمل:24] أي فهم بسبب إغواء الشيطان لا يهتدون إلى الله وتوحيده[248].

والبلاغة: في قوله: **{وجئتك من سبأ بنبإ يقين}**[النمل :21] جناس التصريف وهو الفرق في صياغة الكلمات بإبدال حرف إما من المخرج أو على مقربة من المخرج وهو واحد من جمال الكلام المتعلق باللفظ شريطة أن يأتي جارياً مع الطبع بعيداً عن التكلفة ، ولقد جاء هنا زائداً على الصحة فحسن ورقّ، ألا ترى أنه لو قال بخبر بدلاً من بنبإ لصح المعنى واستقام[249].
{ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ}[النمل:23] يعني : بلقيس بنت شراحيل بن مالك بن الريان،والضمير في تملكهم راجع لسبأ أو لأهلها[250] ،**{ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ}**[النمل : 24] يمكن أن يكون هذا أحد الكلمات المنطوقة على لسان الهدهد، فالواو للعطف، ويبدو أن كلمة أخرى من القرآن هي ذيل الخطاب الذي ألقاه سليمان إلى سليمان، فالواو للاعتراض بين الخطاب الذي ألقاه سليمان و جواب سليمان، والمقصود التَّعريض بالمشركين[251].

وفي قوله تعالى:**{أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَما تُعْلِنُونَ (25) اللَّهُ لَا إِلهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ }**[النمل:25_26]

ألاّ يسجدوا الله الذي يخرج الخبء في السَّماوات والأرض، ويعلم ما تخفون وما تعلنون: أي لا يعرفون الطريق الصحيح الذي هو صدق السجود لله وحده، من دون خلق من الكواكب وغيرها، وهو الخالق المبدع الذي يأتي إلى الوجود بعد العدم كل شيء مخبوء مغيب في

(248) انظر: الصابوني، المصدر السابق، ج 2، ص373- 374 .
(249) انظر: محيي الدين درويش، المصدر السابق، ج 7، ص 193.
(250) البيضاوي، المصدر السابق، ج 4، ص 158.
(251) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، المصدر السابق ، ج 19، ص 254.

السموات والأرض كالمطر والنبات والمعادن والمخلوقات، ويعرف ما يخفيه العباد وما يعلنونه من الكلمات والأفعال[252].

كما في قوله تعالى: **{وَمِنْ آياتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ، لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ، وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ }[فصلت :37] .وكذلك في قوله تعالى { سَواءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ، وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسارِبٌ بِالنَّهارِ}[الرعد: 10] .**

واختلفوا في قراءة **{أَلَّا يَسْجُدُوا }[النمل:25]**، فقرأ أبو جعفر والكسائيُّ و ورش، ممبتخفيف اللام ووقفوا في الابتداء **(أَلا يا)** وابتدؤوا بـ اسجدوا بهمزة مضمومة على الأمر، على معنى: أَلا يا هؤلاء، أَو يا أَيُّها النَّاس اسجدوا، فحذفت همزة الوصل بعد " يا " ، وقرأ الباقون بتشديد اللام ويسجدوا عندهم كلمة واحدةٌ مثل أَلا تعولوا فلا يجوز القطع على شيء منهما[253]. واختلفوا في **{ تُخْفُونَ ،تُعْلِنُونَ }** [النمل:25] وقرأ الجمهور بِياء الغيبة، وقرأه الكسائيُّ وحفص عن عاصمٍ بِتاء الخطاب فهو التفات[254].

فقوله **{ يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ}[النمل:25]** أي : سمَّى المخبوء بالمصدر، ويتناول كل أَنواعِ الرزق والمال ويخرجها من السَّماء غيوم ومن الأرضِ بِالنَّبات، أَمَّا قوله **{ اللَّهُ لَا إِلهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ }[النمل:26]**، فالمقصود به أَنَّه سبحانه لما بين افتقار السموات والأرض وما بينهما إِلى المدبِّرثم ذكر أَنَّ ما هو أَعظم الأجسام فهي مخلوقةٌ ومربوبةٌ وذلك يدلُّ على أَنَّه سبحانه هو في نهاية في القدرة والرُّبوبيَّة إِلى ما لا يزيد عليه والله أَعلم[255].

البلاغة :

{تُخْفُونَ، وتُعْلِنُونَ}[النمل:25] الطباق في اللفظ .

(252) انظر: وهبة بن مصطفى الزحيلي، المصدرالسابق،ج 19،ص 285.

(253) شمس الدين أبو الخير ابن الجزري ،النشر في القراءات العشر، تحقيق، علي محمد الضباع ، المطبعة التجارية الكبرى ، دار الكتاب العلمية، ج 2،ص 337.

(254) ابن عاشور، التحرير والتنوير، المصدر السابق، ج 19، ص 255.

(255) انظر: الرازي، فخر الدين ،المصدر السابق ، ج 24، ص 552 - 553.

{الله لا إله إلاّ هو ربّ العرش العظيم}[النمل:26] سوّى الهدهد بين عرش بلقيس وعرش الله في الوصف بالعظم؟ قلت: بين الوصفين بون عظيم، لأنّ وصف عرشها تعظيم له بالإضافة إلى عروش أبناء جنسها من الملوك ، ووصف عرش الله بالعظم: تعظيمه لجميع الأشياء الأخرى التي تم إنشاؤها من السماوات والأرض(256).

وانتهى الهدهد من خطابه وبدأ سليمان عليه السلام بالرد الخطاب عليه فقال تعالى على لسانه **{ قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (27) اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ }**[النمل:27_28]

قال**{أصدقت}**[النمل:27] ولم يقلْ: أكذبت. بدأ في الاعتقاد به ، ولا ينبغي أن يكون متأكدا من ما قال له عن بلقيس وشعبها،وهذا التعليم بالنسبة لنا كمسلمين يفترض في إخواننا الصدق والتفكير الجيد وعدم البدء في إنكار ما يقولون من الكلمات ،لأن المسلم من شيمته الصدق وعدم الكذب، وقوله **{أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ}**[النمل:27] أبلغ وأجلّ لأن المعنى أولئك الذين اتسمت الأكاذيب وأصبحوا خلفا لهم لأن الهدهد صادق ومسلم والمؤمن، والمؤمن لا يكذب، إذا كان شيمته الكذب فيكون معروفاً، ولا يحتاج إلى المصادقة، ولذلك قال **{قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ}**[النمل:27]

وكما قال الشيخ المراغي (في التعبير بقوله **{كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ}**[النمل:27]، دون أن يقول أم كذبت، إيذان بأن تلفيق الأقوال المنمّقة، واختيار الأسلوب الذي يستهوى السامع إلى قبولها من غير أن يكون لها حقيقة تعبر عنها- لا يصدر إلا ممّن مَرَنَ على الكذب وصار سجيّة له حتى لا يجد وسيلة للبعد عنه، وهذا يفيد أنه كاذب على أتم وجه، ومن كان كذلك لا يوثق به)(257) .

سوف نعرف على صحة البيان خاص بك ، أصادق في إخبارك هذا، أم أنك كاذب في مقالتك، لتتخلص من التحذير الذي أوعدتك به ، والفرق بين الجملة الفعلية والاسمية في هذه الآية، وجعل الاسمية الثانية للمبالغة كما أظهرنا، والإستفادة من صمود الكذب ، وأن المداومة على الكذب لا ينفك عنه.

---

(256) انظر: الزمخشري، المصدر السابق، ج 3، ص 362.

(257) المراغي، تفسير المراغي، المصدر السابق، ج 19، ص 134.

ووسائل الاختبار هي **{اذْهَبْ بِكِتابِي هذا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ ماذا يَرْجِعُونَ}**[النمل:28] أي : إن سليمان (عليه السلام) كتب الكتاب إلى بلقيس وقومها، يدعوها فيه إلى الإيمان والإسلام لله عز وجل، وأعطاه للهدهد، وأمره بإرساله ، ومن ثم يبتعد عنهم قريبا، ويتأمل رد الفعل، وما يراجع بعضهم بعضاً القول، ويناقش فيه(258).

البلاغة:

{أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الكاذبين}[النمل: 27] الطباق في المعنى، وقال علماء البيان، والطباق هنا بالمعنى أبلغ من اللفظ لأنه عدول عن الفعل إلى الاسم فيفيد الثبات فلو قال **{أصدقت أم كذبت}** لما أدَّى هذا المعنى لأنه قد يكذب في هذا الأمر ولا يكذب في غيره، وأما قوله **{أَمْ كُنتَ مِنَ الكاذبين}**[النمل:27] ،فإنه يفيد أنه إذا كان معروفاً بالانخراط في سلك الكاذبين كان كاذباً لا محالة فلا يوثق به أبداً(259)، **{فَانْظُرْ ماذا يَرْجِعُونَ}**[النمل:28] قالوا: فيه تقديم وتأخير ومعناه: ألقه إليهم فانظر ماذا يرجعون ثمَّ تول عنهم، وقيل معناه: تول عنهم أَي: تنح عنهم ثمَّ انظر ماذا يرجعون، قال بعضهم: علم الهدهد هوالأدب من الدُّخول على الملوك وهذا يعني أنه إذا دخل بيت الملك، وقال إنه لا ينبغي أَن يقف، بل يجب أن تذهب على الفور ثمَّ تعود و تطلب الجواب(260) .

(258) انظر: وهبة بن مصطفى الزحيلي، المصدر السابق، ج 19، ص 286.

(259) الصابوني، المصدر السابق، ج 2، ص 377.

(260) انظر: أبو المظفر، منصور بن محمد السمعاني ،تفسير القرآن،تحقيق، ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، ط 1، 1997م، ج 4، ص 92.

3. خطاب سليمان (عليه السلام) للملكة سبأ:

قال تعالى :{قَالَتْ يَاأَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (29) إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (30) أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ} [النمل:29_31]

أرسل النبي سليمان (عليه السلام) الرسالة مع الهدهد الى ملكة سبأ وألقى الهد هد الكتاب إلى الملكة **أي:** إلى بلقيس وقومها لأنه ذكرهم معها في قوله **{وَجَدْتُّها وَقَوْمَها}**[النمل:24]، وبنى الخطاب على لفظ الجمع لذلك، وهذا هو النص خطاب الملك سليمان لملكة سبأ في قوله تعالى**{ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (29) إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (30) أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (31)}**[النمل: 29 - 31] أي: إن النبى سليمان (عليه السلام) يأمر في خطابه أن يأتوه مسلمين مباشرة إنه يتجاوز أمر عبادتهم للشمس ولا يناقشهم في فساد عقيدتهم.. ولا يحاول إقناعهم بشيء إنما يأمر فحسب ثمَّ تولَّ عنهم أي : تنح عنهم إلى مكان قريب، بحيث تراهم ولا يرونك، ليكون ما يقولون بمسمع منك، فانظر ماذا يرجعون أي: ما الذي يردّونه من الجواب، أو: ماذا يرجع بعضهم إلى بعض من القول[261].

وبعد ذلك مباشرة قالت ملكة سبأ : في قوله تعالى: **{قَالَتْ ياأيها الملأ إني أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ}**[النمل: 29] وهذا يدل على أن أوامر سليمان كانت محوطة بالتنفيذ العاجل؛ لذلك حذف السياق كل التفاصيل بين الأمر **{اذهب}** [النمل: 28] والجواب **{قَالَتْ}** [النمل: 29] هكذا على وجه السرعة[262] ومعنى : قالَتْ لهم بلقيس **{يا أَيُّهَا الْمَلَأُ }**[النمل: 29] أي: **(الملأ)** وهم أشراف الناس وكبراؤهم والمستشارون [263]، أي هم: جماعة يجتمعون على رأي، فيملؤون العيون رواءً ومنظراً، والنّفوس بهاءً وجلالاً. قال تعالى: **{أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ }**[البقرة 246]،**{وقالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ }**[الأعراف 60]،**{ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ}**[القصص 20]، وغير ذلك من الآيات. يقال: فلان ملء العيون[264]، وخاطبت رجال دولتها خبر الكتاب الذي ألقي إليها، وقالت: **{إني أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ**

---

(261) انظر: أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة ، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد،ج 4 ، ص 192.

(262) محمد متولي الشعراوي، المصدر السابق ، ج 17، ص 10776.

(263) انظر: محمد ثناء الله المظهري ، المصدر السابق، ج 7، ص 112.

(264) الراغب الأصفهانى، المصدر السابق، ج 1، ص 776

كَرِيمٌ} [النمل: 29] ووصفت الكتاب بأَنَّه كريم، أي : مختوم؛ إذ كانت كرامة الكتاب ختمه[265] ، إما لأنه من عند عظيمٍ، أو لأنه بُدئ باسم كريم، ويقال: وصفت الكتاب بالكرم لقومها لأنها رأت كتاب مُلْك عندها فجعلته كريما لكرم صاحبه، ويقال: إنها قالت (كَرِيمٌ) قبل أن تعلم أَنَّهُ من سليمان[266] ، وقيل: سمته كريماً لأنه كان مُصَدَّرًا ببسم الله الرحمن الرحيم، ثم بينت الكتاب [267] ، فقالت: **{إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ}**[النمل:30] وبيّنت المكتوب فقالت: **{وَإِنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (30) أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ(31)}** [النمل:30_31] و كتاب سليمان كان وجيزًا لأَنَّه من الأنسب بمخاطبة من لا يحسن لغةَ المخاطب فيقتصر له على المقصود أن تترجم وحصل على فهم للكتاب محاط بالهدف ، تحذيراً ملكة سبأ لمحاولة الصعود إِلَى سلَيمان(عليه السلام) والطَّاعة له كما كان شأن الملوك المجاورين له بمصر والعراق، ثم أخذت في حسن الأدب مع رجالها ومشاورتهم في أمرها فراجعها قومها بما يقرُّعينها من إعلامهم إيَّاها بالقوة، والبأس[268]،والمعنى:**{أَلاَّ تَعْلُواْ عَلَيَّ}**[القصص:30] لاتتكبروا عن طاعتي **{وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ}**مؤمنين منقادين[269] .

البلاغة :

إيجاز القصر، وهو أن تقصر اللفظ على معناه كقوله:**{ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمانَ }**[لنمل:30] إلى قوله **{وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ }**[النمل:31] جمع فى أحرف العنوان والكتاب والحاجة[270]. فالمضمون الكتاب **{إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمانَ، وَإِنَّهُ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ، أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ}** [النمل:30_31]، قرأت الكتاب على أشراف قومها ، أي: إن الكتاب في غاية البلاغة والوجازة والفصاحة شاملاً أموراً ثلاثة:

---

(265) أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1، 1404 هـ ،ج 4، ص 241.

(266) الفراء، المصدر السابق، ج 2، ص 291.

(267) فيصل بن عبد العزيز بن فيصل ، توفيق الرحمن في دروس القرآن،تحقيق، عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آل محمد، دار العاصمة، المملكة العربية السعودية – الرياض، ط 1، 1996 م، ج 3 ، ص 330.

(268) أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي ،الجواهر الحسان في تفسير القرآن،ج 4، ص 249.

(269) محمد بن الخطيب، المصدر السابق،ج 1، ص 460.

(270) الأبياري، المصدر السابق، ج 2، ص 226.

1. البسملة الدالة على إثبات الله ووحدانيته وقدرته ورحمته.

2. النهي عن الترفع الذي يحجب وصول الحق إلى النفوس، والنهي عن الانقياد للأهواء.

3. إن أمر الإسلام هو كل فضائل الفضائل، أو أمر الطاعة والا متثال لأمر سليمان(عليه السلام)[271]،والتشاور معهم في مسالة الرد على الكتاب[272].

(271) انظر: وهبة بن مصطفى الزحيلي، المصدر السابق،ج 19، ص 292.

(272) انظر: محمد سيد طنطاوي، المصدر السابق،ج 10، ص 322.

4. خطاب ملكة بلقيس لأشراف قومها:

يقول سبحانه وتعالى: { **قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ (32) قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ (33) قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (34) وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ (35)** } [النمل: 32 - 35]

أي: إن ملكة بلقيس جمعت قومها، واتخذت خطابها مع أشرافهم وذوي الرأي فيهم الذين يولون ويعزلون، وقالت لهم: **{أَفْتُونِي فِي أَمْرِي}**[النمل:32] وأضافت الأمر إليها، إذ هي المسؤولة عنهم، والمخاطبة بأمر القوم عنهم، وأخبرتهم أنها لَا تبتُّ في أمر وتقطع فيه برأيها منفردة دونهم: ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون[273] ، أي: أشيروا علي في الأمر الذي نزل بي ماكنت مبرمة أمراً ولا قاضية في أي أمر حتى يكون حضوركم ومشاورتكم فيه[274].

البلاغة :

الكناية في قولها: **{حَتَّى تَشْهَدُونِ }**[النمل:32] والمقصود من هذا أن تتفق معي كما قطعت والمقاطع التي تصدر منها في الحقوق والسِّياسة : إمَّا أن يكون بالقول كما حدث في هذه الحادثة ، أوعن طريق الصمت وعدم إنكار ذلك ، لأنَّ حضور الشورى كان معدوداً في مكان الاستشارة[275].

وكان ردّ أشراف القوم للملكة بلقيس بثلاثة أمور مطمئنة ملقية في نفسها روح الاطمئنان على حكمها وسلطانها، في قوله تعالى: **{نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ }**[النمل: 33] ، وهذه الأمور الثلاثة :

1-**{نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ}**[النمل:33] أى : أصحاب القوة والوفرة في الرجال وعلى استعداد من حيث العدد والذخيرة، وكل ما هو مطلوب من قبل [276].

---

(273) ابوزهرة ، المصدر السابق، ج 10، ص 5451.

(274) انظر: النسفي، أبو البركات، المصدر السابق، ج 2، ص 603.

(275) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، المصدر السابق، ج 19، ص 264.

(276) ابو زهرة، المصدر السابق، ج 10، ص 5450-5451.

2- **{وَأُولُو بَأْسٍ}**[النمل:33] أي عند الحرب والاجتماع ؛ وشجاعتنا ومساعدتنا نحن ممنوعون من قبل أنفسنا ، ومملكتنا، يعني أشاروا عليها بالقتال [277].

3- أن القيادة كلها (الأمر إليها)، ولذا قالوا: **{وَالأَمْرُ إِلَيْكِ }**[النمل:33] والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين وفي ذلك إظهار الطَّاعة لها إن أَرادت السِّلم[278].

البلاغة :

الإيجاز عجيب في قولهم: **{قالوا نحن أولو قوة وأولو بأس شديد والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين}**[النمل:33] فهو:

أولاً : يشير إلى تعظيم المشورة ، وتعظيم أمر مستشار بلقيس
ثانياً : يشير إلى تعظيم قوتهم في قولهم وأولوبأس وطاعتهم وفي قولهم: **{والأمر إليك}**[النمل:33]
ثالثاً : وفي قولهم: **{فانظري ماذا تأمرين}**[النمل:33] إيجاز يسكر الألباب[279] .

قال تعالى: **{ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (34) وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ (35) فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ (36)}** [النمل: 36]

وتجدر الإشارة إلى أنه عندما شعروا بالميل إلى القتال، نجحوا في المصالحة لأن الحرب نقاش،وهم لا يعرفون عقابهم. وأرسلوا لهم هدية فقد رأوا تقديم المصالحة عن طريق إرسال هبة. طالبا للدنيا الزائلة، وإنما يطلب منهم الدخول في دين الله وترك عبادة الشمس، ولا يقبل إلا الإسلام أو السيف ،وسيحضر لهم جنوداً ليس لديهم القدرة على محاربتهم، وسوف يخرجهم من بلداتهم، وسوف يذلون إذا لم يجلبوا المسلمين الذين يستسلمون لله رب العالمين[280] .

---

(277) أبو الطيب محمد صديق خان بن حسين، فتحُ البيان في مقاصد القرآن، المَكتبة العصريَّة ، صَيدَا ، بَيروت، ط .د، 1992 م، ج 10، ص 40.

(278) الرازي، فخر الدين ، المصدر السابق،ج 24، ص 555.

(279) محيي الدين درويش ،المصدر السابق، ج 7، ص 204.

(280) انظر: وهبة بن مصطفى الزحيلي ، المصدر السابق، ج 19،ص 219.

البلاغة:

{الملوك}[النمل:34] : رسالة تأكيد الاهتمام بالأخبار وإنجازها

{إذا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوها}[النمل:34] : استدلال أفسدها مع الأدلة من التاريخ الماضي

{وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً}[النمل:34] : كناية عن إفساد الملوك وجعل الأَعزَّة أَذلة، أَي فكيف نلقي بأيدينا إلى من لا يألو إفسادًا في حالنا.

{وكذلِكَ يَفْعَلُونَ}[النمل:34]استدلال على المستقبل بحكم الماضي [281].

(281) انظر: ابن عاشو، التحرير والتنوير، المصدر السابق ، ج 19، ص 266.

5. خطاب النبي الله سليمان (عليه السلام) مع أشراف قومه :

يقول سبحانه وتعالى: **{قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (38) قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (39) قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ (40) قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ (41) فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ (42) وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ (43) قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}** [النمل: 38 - 44]

عندما اقترب وفد بلقيس من بلاد الشام جمع سليمان (عليه السلام) أشراف قومه من البشرية والجن والطيور خاطبهم ، حيث قال في قوله تعالى **{يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ}**[النمل:38] ، وذلك العرف في الملوك أنهم إذا خاطبوا أحدًا بشيء إنما يخاطبون أهل الشرف والمنزلة منهم[282] ، أي : أَنَّ في قوله تعالى قال يا أَيُّها الملأ أَيُّكم يأتيني بعرشها إلى إنها كانت عزمت على اللحوق بسليمان، ودلالةً على أَنَّ العرش كان مشهورًا، وقال إنه يحب أن يحصل عليه قبل حضورها ،وقد اختلفوا في غرض من سليمان (عَلَيْهِ السَّلَامُ) من إحضار ذلك العرش على وجوه:

1. أَنْ يكون علامة على بلقيس على قدرة اللَّه تعالى و نبوَّة سليمان (عَلَيْهِ السَّلَامُ).
2. أراد أَن يجلب العرش و يغيِّر ، وينكّر، ثمَّ لعرضه عليها كي يعرف هل تنكره، فهو اختبار لعقلها، وقوله تعالى: **{قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي }**[النَّمْل: 41] مؤشرٌ على ذلك.

(282) انظر: محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، تحقيق ،السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط.د، ج،8،ص116 .

3. قال قتادة: أراد أن يأخذه قبل الإسلام،مع العلم أَنَّه إذا أسلمت لم يحل له أخذ مالها. وهذا قول ضعيف لأنه لا يليق بنبي من الأنبياء...

4. أَنَّ عرش سرير المملكة، أَراد أَن يعرف مقدار مملكتها قبل ان يصل اليه[283].

وفي قوله تعالى: **{قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (39) قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ (40)}** [النمل: 39، 40]

وقال عفريت من الجن يعني: مارداً من الجن، والعفريت: هو قوي جداً، ويقال: العفريت من كل شيء هو المجموع والأكثر حكمة في قيادته ،أنا آتيك به قبل أَن تقوم من مقامك يعني: في مجلس الحكم، وكان: وقت إلى انتصاف النهار. ويقال: إلى وقت الضحى. وإني عليه يعني: أي لجلب العرش من الأقوياء أَمين على المجوهرات واللؤلؤ وغير ذلك، وأجاب سليمان (عليه السلام) : أريد أسرع من هذا ، و قال الَّذي عنده معرفة الكتاب يعني آصف بن برخيا، وكان وزيره ومؤدبه في حالة صغره، وقراءة كتاب الله وتعلمه الاسم الأعظم، ويقال: هو قوله يا حي يا قيوم ، ويقال يا ذا الجلال والإكرام، ويقال إن الذي عنده علم من الكتاب هو جبريل عليه السلام. وقال أكثرمن المفسرين على أنه آصف بن برخيا رضي الله عنه. قال: **{أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ}** [النمل:39]

أي : يعني قبل أن ينتهي بك ،الذي تم التوقيع عليه قبل نهاية البصرالخاص بك ، فإنه جاء لك. ويقال: قبل أن تطرف. وقال له سليمان: لقد أسرعت إذ فعلت ذلك، فدعا بالاسم الأعظم، إذْ ظهرالسرير في أيدي سليمان عندما رأى سليمان السرير مستقرًّا له أي: موجوداً عنده قال هذا من فضل ربِّي ليبلوني يعني: ليختبرني أَأشكر هذه النعمة أَم أَكفر نعم الله تعالى إذا رأيت من هو دوني أعلم مني.

لما رفع رأسه قال: الحمد لله، أحمد الله الذي جعل في أهلي من يدعوه فيستجيب له ومن شكر فإنَّما يشكر لنفسه يعني: يفعل لنفسه، لأنه يعود إليه حيث يستوجب المزيد من الله تعالى

(283) ا نظر: الرازي ، فخر الدين ، المصدر السابق، ج 24، ص 556.

ومن كفر النعم يعني: ترك الشكر فإنَّ ربي غنيٌّ عن شكر العباد كريم في الإفضال على من شكره بالنعمة. ويقال: كريم لمن شكر من عباده- ويقال: لما رأى آصف السرير مستقراً عنده، خرج من فضل نفسه ورجع إلى فضل ربّه ورأى الحول والقوة لله تعالى وقال هذا من فضل ربِّي لا من فضل نفسي [284].

البلاغة :

{أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ} [النمل:39] ،جناس الاشتقاق **{قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ}** [النمل:39] ، استعارة بديعة شبَّه سرعة وصول العرش برجوع الطرف إلى الإنسان، وارتداد الطرف معناه التقاء اليدين هو أبلغ ما يمكن أن يوصفها في السرعْة ومثل (وما أمرُ الساعةِ إلا كلمح البصر أو هو أقرب) فاستعار للسرعة الفائقة ارتداد الطرف[285] ،**{فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ }** [النمل:40] ،في الكلام حذف تقديره: فدعا الله فأتاه به، عندما رأى عرش بلقيس، قيل: نزل على سليمان من الجو[286] ،**{أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ}**[النمل:40] ، الطباق في اللفظ[287].

وفي قوله تعالى {قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ (41) فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ (42) وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ (43) قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (44) } [النمل: 41 - 44]

هذا هو جزء من الحوار الذي دار بين سليمان (عليه السلام)، وبين قومه و بالتالي لم يتعاطف لأنه تم بطريقة الحوار، والتنكير: التغيير للحالة ، وقالوا: أراد لها مفاجأة ولاختبارها ، ومن الذين لا يهتدون أبلغ في انتفاء الاهتداء من: لا تهتدي[288].

(284) انظر: أبو الليث نصر بن محمد السمرقندي، بحر العلوم، ط .د، ج 2، ص 582-583.

(285) انظر : الصابوني، المصدر السابق، ج 2، ص 377.

(286) أبو حيان الأندلسي، المصدر السابق، ج 8، ص 241.

(287) الصابوني، المصدر السابق، ج 2، ص 377.

(288) انظر: ابن العاشور، التحرير والتنوير، ج 19، ص 272- 273 .

والبلاغة في قول { أَتَهْتَدِي. . لَا يَهْتَدُونَ }[النمل:41] بينهما طباق السلب(289) .

وفي قوله تعالى **{فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ}[النمل:42]**

عندما جاءت، قيل: هل هذا العرش الخاص بك ؟ قالت: كأنَّه هو أي حين قدمت، عرض عليها عرشها (سرير الملك) وقد تغير بزيادة فيه ونقص، لم يقل: هل هذا عرشك؟ قالت: كما لو كان مثله وأقاربه لم يؤكد أو يقتنع من أنه، لإمكانية نفس الشيء بسبب المسافة منه ،وكان إجابتها ذكية ، محنكة و الجواب السياسي الذي أظهر اكتمال عقلها ، حازمة الطبع، وأنها كانت ذكية جدا وحازمة ، **{وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ}[النمل:42]** الظاهر كما قال أبو حيان(ت: 745هـ)، أن هذه ليست كلمة بلقيس، على الرغم من أنها ترتبط بكلماتها، وقال مجاهد: إنه من كلام سليمان، أي : أوتينا العلم بإسلامها و مجيئها، وكنا في كل ذلك موحدين خاضعين لله تعالى، وقيل: من كلام شعب سليمان وأتباعه ، و قال ابن كثير: إنه يدعم قول مجاهد أنها إنما أظهرت الإسلام بعد دخولها إلى الصرح ، ثم أوضح الله تعالى عذر بلقيس بعدم إعلانها الإسلام قبل ذلك فقال: **{وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ}[النمل :43]** أي: منع من عبادة الله وإظهار الإسلام ما كانت تعبد من غير الله وهو عبادة الشمس، وكانت من شعب وثنيين كانوا يعبدون الشمس، فتأثرت بالبيئة التي نشأت فيها، ولم تتمكن من تغيير إيمانها، حتى جاءت إلى أرض سليمان (عليه السلام) ،أفضل أرض للإسلام ، واقتنعت وبالحاجة إلى الاعتقاد في وجود الله ووحدانيته، وقال: انه هو رب كل الكون ، ورب الكواكب كلها، شمسها وقمرها ونجومها العديدة[290].

وفي قوله تعالى: **{قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}[النمل :44]**

(289) الصابوني، المصدرالسابق، ج 2، ص 376.

(290) انظر: وهبة بن مصطفى الزحيلي، المصدر السابق، ج 19، ص 304.

الصَّرح : إما القصر المشيد الفخم، أوالبهو الكبير حيث يجلس فيه الملوك مثل: إيوان كسرى على سبيل مثال، فلما دخلت **{حَسِبَتْهُ لُجَّةً}**[النمل:44] يعتقد الماء، والإنسان إذا رأى الماء أو بلاً يرفع ثيابه بعملية آلية قسرية حتى لا يصيبه البلل؛ لذلك كشفت بلقيس على ساقيها يعني: رفعت ذيل ثوبها،وهنا نَبهها سليمان **{إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ}**[النمل:44] يعني: ادخلي لا تخافي بللاً، هذا ليس لجة ماء، إنما صرحٌ ممرد من قوارير يعني: أنها بُنيت من الزجاج أو الكريستال، بحيث الماء تتدفق من تحت ذلك بما في ذلك الأسماك(291).

والممرد: المملس ، والقوارير: جمع قارورة وهي اسم لإناء من الزُّجاج كانوا يصنعونه للنبيذ لإظهار ما قر في قعر الإناء من الحاوية من النبيذ والتي تُبين كمية صفائه ، فسمي ذلك الإناء قارورة لأنَّه يظهر منه ما يقر في قعره، وجمعت على قوارير، ومن ثمَّ أُطلق هذا الجمع على الطين الَذي تتَّخذ منه القارورة وهو الزُّجاج، فالقوارير من أَسماء الزُّجاج (292).

{قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي}[النمل:44] في الكفار ، ويعتقد سيئةً في سليمان ، وأنه يريد أن يغرقها في لجة الماء **{وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ العالمين}**[النمل:44] ويبدو أنها لم تنطق بكلمة الإسلام صريحة إلا هذه المرة، وأن القول السابق **{وَكُنَّا مُسْلِمِينَ}**[النمل:42] كان من كلام سليمان (عليه السلام).

وقالت **{وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ}**[النمل:44] مثل كلمات السَّحَرة فرعون لما رأوا المعجزة: **{آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وموسى}**[طه: 70] لأن الإيمان إنما يكون بالله والرسول دال على الله، لذلك قالت: **{وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ}**[النمل: 44] ولم تقل: أسلمت لسليمان، نعم إنها، أر أرادت الاعتراف بالأسلام لله ، لا لسليمان، لأنّ فخر الملك جعلها لا تخضع له، وتعلن إسلامها لله مع سليمان؛ لأنه السبب في ذلك، وكأنها تقول له: لا تظن أنِّي أسلمت لك، إنما أسلمتُ معك، ثم أنا وأنت سواء، لا يتعالى أحد منا على الآخر، فكلانا عبد لله(293).

(291) انظر: محمد متولي الشعراوي، المصدر السابق، ج 17، ص 10792.

(292) ابن عاشور، التحرير والتنوير، المصدر السابق، ج 19، ص 276.

(293) انظر: محمد متولي الشعراوي، المصدر السابق، ج 17، ص 10792.

البلاغة :

{كأنه هو}[النمل :44] : تشبيه مرسل عدلت إليه عن مقتضى السؤال، ومقتضاه أن تقول: هو لسر دقيق جداً وذلك أن **{كأنه}** عبارة من قرب الشبه عنده حتى شكك في التغاير بين الأمرين فكاد يقول: هو هو، وهذا هو الحال في بلقيس وبما أن هذا هو الحال بتغاير الأمرين حاكم بوقوع الشبه بينهما لا غير لذلك يتم تعديله إلى العبارة المذكورة في التلاوة لتتناسب مع حالته

{وأسلمت مع سليمان}[النمل:44]: هنا التجنيس الذي وهومزيج من كلمتين في كتابة الحروف(294)

.

(294) ا نظر: محيي الدين درويش، المصدر السابق، ج 7، ص 217 - 218 .

الفصل الثالث: بلاغة الخطاب في سورة القصص

1. **خطاب المرأة:**
   أ. خطاب الله تعالى موجه إلى أم موسى (عليه السلام)
   ب. مخاطبة أخت موسى (عليه السلام) لحاشية فرعون :
   ت. مخاطبة آسيا لفرعون
   ث. مخاطبة ابنتي شعيب مع شعيب وموسى(عليهم السلام)

2. **خطاب الله للمشركين:**
3. **قصة قارون:**
   أ. بغيه على قوم موسى واغتراره بماله
   ب. بعض ظهور بغي قارون وكبريائه

4. **قصة نبينا محمد (صلّى الله عليه وسلم) مع قومه**

1. خطاب المرأة:

تناول النص القرآني الرجال والنساء على مستوى واحد من الخطاب المشرف، ويقر القيمة الإنسانية للمرأة والرجال كخطاب شرفي لتبادل القرآن بالولاية بينهما، والرجل المسؤول عن الرعاية، والمرأة، تجعل مسؤولة عن رعاية الرجل.

كما قال تعالى: {**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ** }[التوبه :71] ، وفي قوله أيضاً: {**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**} [النحل: 97]

وتشمل النماذج النسوية في موضوع الدراسة فهن : أم وأخت موسى (عليه السلام) وآسيا زوجة فرعون وابنتي شعيب (عليه السلام).

أ- خطاب الله تعالى موجه إلى أم موسى (عليه السلام) :

قال تعالى: { وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ}[القصص:7]

{ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى }[القصص:7] هو مصدرإلهام، وألقى الخطاب القرآني ليطمئن قلبها في قوله{ **إِنَّا رَادُّوهُ** }[القصص:7]وقال بعضهم : رأت رؤية ، وقال بعضهم هو الوحي حقيقة، وأتاها الملك بهذا من الله،لكنها لم تكن من الأنبياء.

وقوله {**أَنْ أَرْضِعِيهِ**}[القصص:7] يختلف في فترة الرضاعة الطبيعية ، بما في ذلك الذين قالوا : ثمانية أشهر، وبعضهم قَال: أربعة أشهر، ومنهم من قال: ثلاثة أشهر، و قوله { **فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ** }[القصص:7] الخوف عليه هو الخوف من الذبح.

وقوله: {**فألقيه فِي اليم**} [القصص:7] اليمّ: البحر، والمقصود هنا أن جميع المفسرين يقولون هو : نَهْر النيل وقوله: {**وَلَا تخافي وَلَا تحزني**} [القصص:7] أي: لا تخافي عليه من الغرق، ويقال من الضيعة، وقوله: {**وَلَا تحزني**} [القصص:7] أي: ولا تحزني على فراقه[295].

(295) انظر: أبو المظفر، السمعاني، المصدر السابق ، ج 4، ص 122-123.

{إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ} أي : إنا رادو ابنك لك من أجل الرضاعة الطبيعية،و سوف تكونين أنت مرضعهُ ، ويُرسل له رسولا لهذا الطاغية ،وجاعلو هلاكه وإنقاذ بني إسرائيل من فظاعتهم(296).

البلاغة :

قوله تعالى: **{وَأَوْحَيْنا إِلى أُمِّ مُوسى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ}** [القصص:7]

فجمع في آية واحدة خبرين، وأمرين، ونهيين، وبشارتين، فالخبران هما {وَأَوْحَيْنا إِلى أُمِّ مُوسى} وقوله فإذا " خفت عليه" لأَنَّه يشعر بأَنَّها ستخاف عليه.

والأمران هما: أَرضعيه و (ألقيه)

والنَّهيان: ولا تخافي ولا تحزني.

و البشارتان: إنا رادُّوه إليك وجاعلوه من المرسلين، والخوف: الحزن، والحزن: حالةٌ نفسيةٌ من حادث يكره على النفس ، أَو فقدان حبيب، أَو بعده، أَو نحو ذلك. والمعنى: تخافي من فقدان الإغراق في البحر، ولا تحزني على الفراق.

والنَّهي عن الخوف و الحزن نهي لكل منهما و توقُّع الكراهية والتَّفكُّر في وحشة الفراق، وجملة إِنَّا رادُّوه إليك في موقع العلة للنَّهيين لأَنَّ ضمان ردِّه عليها يتطلب أَن لا يهلك وأَنَّها لا يفوتها مطولا ، أي: لايغيب عنها مطولاً. وأَما قوله: وجاعلوه من المرسلين فإهولأدخال المسرة علَيها(297).

ويقول القائل أي : إن الفرق بين الخوف والحزن حتى التعاطف بعضهم مع بعض في قوله {ولا تخافي ولا تحزني} ؟ لذلك ليس من التناقض أن يثبت الخوف في قوله {فإذا خفت عليه} ومن ثم نفت بقوله {ولا تخافي} والإجابة على التناقض المزعوم أن الخوف الأول المثبت هو الغرق في النيل ،والثاني هو الخوف من الذبح ، نجد الوهم من التناقض، والمعارضة الأولى فهو

(296) انظر: المراغي ،تفسير المراغي، المصدر السابق ، ج 20، ص 37.

(297) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، المصدر السابق ، ج 20، ص 74- 75.

مندفع بأن هذا من باب الإطناب بل هو قسم نادر من أجمل أقسامه، وهو أن نذكر أن الشيء يأتي في معاني التداخل ، ولكن كل واحد متخصص بخصيصة ليست للآخر، في قسم اللغة أن الخوف هو غم يؤثر على الإنسان ومن المتوقع أن ينزل في المستقبل ، وأما الحزن فهو غم يصيبه لأمر وقع فعلا ، ومضى فنهيت عن كل منهم[298] ، **{إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ}** عبر بالجملة الاسمية عن الفعلية: سوف نرده ونجعله، للاعتناء بالبشارة لأن الجملة الاسمية تفيد الثبات والدوام والمواصلة[299]. وقال تعالى: **{وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ}**[القصص: 10] .

وأصبح معناها : صار، أي: وأن قلبها أصبح خالياً من ذكر كل شيء في الدنيا إلا من ذكر موسى، وقيل: طار عقلها من فرط الجزع والغم حين سمعت وقوعه في يد فرعون **{إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ}**[القصص: 10]، أي : إنها كادت تظهر أمره وتكشف أنه ابنها بسبب شدة الشعور والحزن ،وقال ابن عباس: كادت تصيح واابناه، عندما سمعت أنه في يد فرعون **{لولا أَن رَّبَطْنَا على قَلْبِهَا}**[القصص:10] أي لولا أن ثبتناها وألهمناها الصبر **{لِتَكُونَ مِنَ المؤمنين}**[القصص: 10]، أي لتكون من المصدقين بوعد الله برده عليها [300] .

ومعنى {فارغاً} لها أربعة أقوال :

1. قال ابن مسعود وابن عبَّاس والحسن ومجاهد وعكرمة وقتادة والضحاك وأَبو عمران الجوني وأَبو عبيدة:**{ فارِغاً}** أَي خاليًا من ذكر كلِّ شي فِي الدنيا ماعدا موسى.
2. وقال الحسن وابن إسحاق وابن زيد: **{فارِغاً}** من الوحي إذ أَوحى إِليها عندما أُمرت أن تلقيه في البحر**{لا تَخافِي وَلا تَحْزَنِي}** [القصص :7] والعهد الَّذي عهده إِليها أَن يردَّه ويجعله من المرسلين.
3. قال أَبو عبيدة ،والأخفش **{فارِغاً}** من الغمِّ والحزن لعلمها أَنَّه لم يغرق.
4. وقال العلاء بن زياد**{ فارِغاً}** نافراً، والكسائيُّ قال: ذاهلًا ، وقال : سعيد بن جبير هو: والهًا أي: ذهاب العقل، والمعنى هو أنه عندما سمعت بوقوعه في يد فرعون طار

(298) انظر: محيي الدين درويش ، المصدر السابق، ج 7، ص 285.

(299) انظر: وهبة بن مصطفى الزحيلي، المصدر السابق ، ج 20، ص 61.

(300) انظر: الصابوني، صفوة التفاسير، المصدر السابق، ج 2، ص 391.

عقلها من فرط الجزع ، كقوله تعالى:{ **وَأَفْئِدَتُهُمْ هَواءٌ**}[إبراهيم:43]، أي : جوف ليس لَها عقول ، وأَنَّ القلوب مراكز العقولِ(301).

البلاغة :

1. الكناية في الآية { }[القصص: 10]، لفقدان العقل وقلب اللب، والمعنى أنها حين سمعت وقوعهُ في يد فرعون طاش صوابها وطار عقلها لما انتابها من فرط الجزع والدهشة(302)
2. الاستعارة في الآية {لولا أن رَّبَطْنَا على قَلْبِهَا} [القصص: 10]، شبّه ما ألقاه الله في قلبها من الصبر من خلال بربط الشيء خوفاً من الضياع ،واستعار لفظ الربط للصبر(303).

ب - مخاطبة أخت موسى (عليه السلام) لحاشية فرعون :

في هاتين الآيتين، نرى اللطف في رسالة أخت موسى لحاشية فرعون كي يعود شقيقها، إلى والدتها بأمر الله، كما قال تعالى : {**وَقالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ** }[القصص: 11]،{ **فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ**}[القصص: 12]، واضح ترتيب الأنباء أَنَّها على وفق ترتيب محتوياتها في الحصول، وهذا من المرجِّح أَن تكون حصول مضمون {**وَأَصْبَحَ فُؤادُ أُمِّ مُوسى فارِغاً** }[القَصَص: 10] سابقًا على المحتوى، وقالت لشقيقته: قصيه، أَي: قالت لشقيقته إنه بعد طمأنه قلبها لإلهامه في السماء من إلقائه في اليم، أَي لمَّا أَلقته في اليم{ **قَالَتْ لِأُخْتِهِ**} [القصص:11] انظري أَين يلقيه اليم وعندما يستخرج منه، وقد علمت أَنَّ اليم لا يلقيه بعيدًا عنها لأنَّ ذلك مقتضى وعد الله بردِّه إِليها(304).

وقوله{ **فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ** }[القصص:11] أَي: (عَن بعد)، وقيل: كانت تسير جانبا، وتنظر مختلسة وتري الناس أَنها لا تنظر.

(301) انظر: القرطبي، المصدر السابق ، ج 13، ص 255 .

(302) محيي الدين درويش، المصدر السابق، ج 7، ص 286.

(303) انظر: الصابوني ، المصدر السابق ، ج 2، ص 393.

(304) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، المصدر السابق، ج 20، ص 82.

وقولـه{**وهـم لَا يَشْـعُرُونَ**}[القصص:11] أي: إنهـم لا يشـعرون أن تـدميرهم علـى يـد موسـى (عليه السلام)، وقيل: وهم لا يعرفون أن الصبي موسى، وأن طالبه من قبل أمه وأخته .

وربما كان قوله تعالى: { **وهم لَا يَشْعُرُونَ** }[القصص:11] يعنـي لا يشـعرون بوجودهـا لأنهـا كانـت تخفي نفسها كي لا يراتابوا بأمرها.

وقوله{ **فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ** }[القصص: 12] يعني: قالت شقيقة موسى: هل أدلكم { **عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ** }[القصص: 12]، وقوله { **وَهُمْ لَـهُ نَاصِحُونَ**}[القصص: 12] ، أَي: عليه مشفقون، والنصح ضد الغش.

وفي القصة : أَن شعب فرعون استرابوا بقول أُخت موسى وقالوا: [إِنَّك] تعرفينه، وإِلَّا ماهو معنى النصحيه له؟ فألهمها الله تعالى حتى قالت: قلت هذه الرغبة في سعادة الملك والاتصال به، وروي أَن أم موسى جاءت إليها، ووجد موسى ريحها، (نزا) إلى ثديها وبدأيمتصها حتى امتلأَ جنباه رياً، وقال السدي: إنهم يعطونها كل يوم ديناراً[305] .

وفي قوله تعالى: **{فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُها وَلا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ }**[القصص:13]

فرجعناه إلى أمه بعد التقاط فرعون له، لكي تقر عينها بابنها وتسر بوجوده لديها وسلامته ،ثم لا يحزنه عليه بفراقه، وللتأكد أن وعد الله فيما وعدها من رده إليها حق لا شك فيه عندما قال لها: **{إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ، وَجاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ}**[القصص:7] وبعد ذلك أدركت برده إليها أنه كان رسولاً حتى إنه علمه في تربيته ما ينبغي له طبعاً وشرعاً من كمال الأخلاق.

{وَلكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ }[القصص:13] أي : ولكن معظم الناس لا يعرفون حكم الله في أعماله وعواقبه جديرة بالثناء في هذا الدنيا وفي الآخرة، قد يكون الأمر كريهاً إلى النفوس في الظاهر، محمود العاقبة في الحقيقة ونفس الأمر[306]، كما قال تعالى: **{وَعَسى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً، وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ، وَعَسى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ }**[البقرة : 216]، وكذلك في قوله تعالى: **{فَعَسى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً، وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً }**[النساء :19]

(305) انظر: أبو المظفر، السمعاني، المصدر السابق ، ج 4، ص 126.

(306) انظر: وهبه بن مصطفى الزحيلى، المصدر السابق ، ج 20، ص67- 68.

البلاغة :

{وَهُمْ لَـهُ ناصـحون}[القصص:12]، فـإن الضـمير فـي لـه يحتمـل أَن يكـون لموسـى وأَن يكـون لفرعون، قال ابن جريج : وبهذا تخلصت أُخت موسى من قولهم : إنك عرفته فقالت : أَردت ناصحون للملك واعترض عليه بأَن هذا في لغة العرب لا في كلامها المحكي ، وهذا مردود فإنَّ الحكاية مطابقة لما قالته وإن كانت بلغة أُخرى(307)

وقدعبرت بالجمله الاسمية والابتعاد وعن الجملة الفعلية كقوله **{ يَكْفُلُونَهُ}** [القصص :12] لقصد تأكيد أَنَّ النصحية من سجاياهم و ثبت لهم حتى إن لم يقل: وينصحون له كما قيل يكفلونه لكم لأنَّ الكفالة أسهل بخلاف النصح والعناية بالشيء(308).

وقوله:**{وَلكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ}**[القصص:13] ،ويشبه التعريض بما فرط منها بينما سمعت أنه سقط في يد فرعون، فجزعت وأصبح فؤادها فارغاً (309).

ج- مخاطبة آسيا لفرعون :

وقال تعالى على لسان امرأة فرعون وهي آسيا بنت مزاحم: **{وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ}**[القصص:9]

ويقال إن آسيا زوجة فرعون رأت التابوت العائم في البحر وأمرت سوقه بفتحه ورأتْ صبيا صغيرا فرحمته وأحبته، فقالت لفرعون: **{ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ}**[القصص:9] أَي هو قرة عين لي و طلبت آسيا زوجة فرعون أن يتركه فخاطبته كما يخاطب الملوك **{لاتقتلوه}**[القصص:9] بصيغة الجمع كي لا يقتله ليترك هذا الطفل لها فقالت:**{ لَا تَقْتُلُوهُ}**[القصص:9] ولم تقل لا تقتله فهي تخاطب فرعون كما يخاطب الأقوياء وكما يخبرون عن أَنفسهم، وقالت {لَا تَقْتُلُوهُ} فأحضره الله من أَرض أُخرى وليس من بني إسرائيل **{عَسى أَنْ يَنْفَعَنا}**[القصص:9] فنصيب منه خيرًا **{أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً}**[القصص:9] أي: نتخذه طفلاً، وكانت لا تلد ، وستوهب موسى من فرعون فوهبه لها، وعندما

(307) أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، البرهان في علوم القرآن،المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط 1، 1376هـ ، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ثم صوَّرته دار المعرفة، بيروت، ج 2، ص314_315.

(308) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، المصدر السابق، ج 20، ص 84.

(309) الزمخشري ، المصدر السابق ،ج 3، ص397.

رأى الرُّؤيا وقصَّها على كهنته وعلمائه، على ما تقدم، قالوا له إنَّ طفلاً لأبناء إسرائيل أفسد ملكك، فأخذ أطفال إسرائيل بذبح الأطفال، فرأى أنه يقطع نسلهم فعاد يذبح عاماً و يستحيي عاما، فولد هارون في سنة الاستحياء، وولد موسى في سنة الذَّبح، وقوله تعالى**{وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ}**[القصص:9] هذا هو بداية كلام الله تعالى، أي: إنهم لا يشعرون أَنَّ تدميرهم بسببه ،ويقال: إنه من كلام المرأة، أَي : أن بنو إسرائيل لا يدرون أَنَّا التقطناه، ولا يشعرون إِلَّا أَنه ولدهم.

وأما لفظ **{لاَ تَقْتُلُوهُ}**[القصص:9] فهو خطاب بلفظ الجمع للتعظيم، عسى أَن ينفعنا فإن فيه علامات اليمن وعلامات النفع، وذلك لأنه رأى النور بين عينيه وارتضاعه إبهامه لبناً وبرء البرصاء بريقه. أَوْ تأخذ الطفل أو تجعله فمن عائلته(310)

البلاغة :

وقالت: **{وَقُرَّةِ عَيْنِي}**[القصص:9] الآن أَكثر من ذي قبل زوجة فرعون أَقسمت على فرعون بما في ذلك قرَّة عينها، وقرَّة عينه أَن لا يقتل موسى، ورفع العين في البداية وخبره محذوفه ، وكثير من حذف في نص الحق مثل: لعمرك، وابدأت بنفسها في قرة عين لي قبل ذكر فرعون إدلالاً عليه لمكانتها عنده أَرادت أَن تبتدره بذلك حتى لا يصدر عنه الأمر بقتل الطِّفل.

ضمير الجمع في قولها **{لَا تَقْتُلُوهُ }**[القصص:9]، قديكون من قبل فرعون الذي نزلوه منزلة الجماعة على وجه التعظيم فمن الممكن أن خطاب فرعون داخلًا فيه أَهل دولته والكهنة الَّذين ألقوا في فرعون نفسه أَنَّ صبيا من إسرائيل الفاسدة مملكته. وهذا أفضل لأَنَّه تمهيدًا للإجابة على السؤال حين أَسندت معظم قتل شعب الدَّولة وجعل فرعون من حظِّ إحدى من الجموعات كما لو أنها كشفت أن رأيه لا ينبغي أن يكون عن رأيه فتهون عليه عدوله في هذا الطِّفل من قرار قتل الأطفال، وقيل **{لَا تَقْتُلُوهُ}** التفات عن خطاب فرعون إلى خطاب الموكَّلين بقتل أَطفال إسرائيل(311) ،كقول يوسف: **{أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ }**[يُوسُف: 29] .

(310) انظر: البيضاوي، المصدر السابق ، ج 4، ص 172.

(311) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، المصدر السابق، ج 20، ص 78 – 79 .

ث- مخاطبة ابنتي شعيب مع شعيب و موسى(عليهم السلام) :

قال تعالى: **{فَجاءَتْهُ إِحْداهُما تَمْشِي عَلَى اسْتِحْياءٍ قالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ ما سَقَيْتَ لَنا فَلَمَّا جاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قالَ لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (25) قالَتْ إِحْداهُما يا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ}**[القصص: 25_26]

فجاءته إحداهما تمشي على استحياء أي مستحيية متخفرة. قيل: كانت الصغرى منهما وقيل: الكبرى واسمها صفوراء أو صفراء وهي التي تزوجها موسى عليه السلام. قالت: إنَّ أَبي يدعوك ليجزيك و ليكافئك ، أَجر ما سقيت لنا جزاء سقيك لنا.

قال روي أنه عندما جاء إليه الطعام فامتنع عنه وقال: إنا أهل بيت ولا نبيع ديننا في الدنيا حتى قال له شعيب (عليه الصلاة والسلام) : هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا. هذا وأن كل من فعل معروفاً فأهدي بشيء لم يحرم أخذه(312). **{ فَلَمَّا جاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قالَ لاَ تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ يريد فرعون وقومه}**[القصص:25]

ثم جاء موسى (عليه السلام) إلى المتصل له فقص أمره من البداية إلى النهاية ، فقال: **{لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}**[القصص:25] وكان أهل مدين خارج المملكة فرعون بمعنى فرعون ليس له سلطة على شعب مدين(313) أَما قوله: **{ قالَتْ إِحْداهُما يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ }**[القصص:26]

قالت إحداهما: (أَيّهم القائلة، وهي الذاهبة والقائلة والمتزوجة)، استأْجره أَبت: أي لرعي الأغنام والسقي، ووصفها بالقوة: لأنه رفع الصخرة من البئر وحده، وأخذ بتلك الدَّلو، وزاحمهم حتَّى هزمهم على الماء بأمانة: لأنَّها عندما تابعها ، هبت الريح فلفت ثيابها فوصفتها، فقال: عودي إلى الوراء وسيري على الطريق.

وخاطبت بكلمات حكيم جامع، لأَنَّه إذا التقيت بما فيه الكفاية والأمانة في الترتيب، فقد تمَّ المقصود، الذي كان مجرى المثل، وأصبح تحذيراً للنَّاسِ، وكان ذلك شرحا للاستئجارِ، وكأَنها

(312) انظر: البيضاوي، المصدر السابق،ج 4، ص 175.

(425) انظر: ابن عطية، المصدر السابق، ج 4، ص 284.

قالت: استأجره لأَمانته وقوَّته، واصبح الوصف في حالة تأهب له وقال: ابن عبَّاس، وقتادة، وابن زيد، وغيرهم إن أَبوها قال لها. لما وصفته بِهذا الأوصاف: ومن أَين تعرف هذا؟ وقد ذكر أن إقلاله الحجر وحده، وأحرج أن ينظر إليها عندما وصفتها الريح، وقيل: قال موسى ابتداء: كوني ورائي، فإني رجل لا أَنظر إلى أَدبار النِّساء، ودليني على الطريق يمينا أَو يسارا.

وقال ابن مسعود: أَفرس النَّاس ثلاثة: بنت شعيب وصاحب يوسف في قوله:**{ عَسى أَنْ يَنْفَعَنا}**[يوسف : 21]، وأَبو بكر في عمر. وفي قولها: استأجره، دليلاً على شرعية الإجارة فيها ، وكذلك في كل طائفة ، وهي ضرورة الناس ومصلحة الخلطة، خلافاً لابن علية والأصم، حيث كانا لا يجيزانها وهذا مما انعقد عليه الإجماع (314) وقال فخر الدين الرازي قال تعالى في قولها: **{قالَتْ إِحْداهُما يا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ}**[القصص :16] فيه مسائل:

المسألة الأُولى: لقد وصفته بالقوة لما رأت من كيفية السقي والأمانة لما حكينا من غض بصره حال ذودهما الماشية وحال سقيِه لهما وحال مشيِه بين يديها إلى والدها.

المسألة الثانية: ولكن جعل أفضل من استأجر اسم الأمين قوي مع عكس الأَول لأَنَّ الرعاية هي سبب لتقديمها.

المسألة الثالثة: القوَّة والصدق لا يكفيان في حصول المقصود ما لم ينضم إليهما الفطنة والكياسة، فلم أَهمل أَمر الكياسة؟ ويمكن القول: إنَّ الأمر يتعلق بالأمانة العامة (315)

البلاغة :

1.{فَجاءَتْهُ إِحْداهُما تَمْشِي عَلَى اسْتِحْياءٍ}[القصص :25] ،ففي الآية هي واحدة من الآيات التي تصور لنا امرأة تحمل كل معاني الخجل والعفة والتواضع فإنه سبحانه وتعالى يقول**{ تَمْشِي عَلَى اسْتِحْياءٍ}**[القصص:25] وذكر تمشي ليبني عليه قوله على استحياء وإلا فإنَّ فعل **(جاءته)** مغنٍ عن ذكر **(تمشي)**.

وتستخدم **(عَلَى)** استعارة المجازية للاستعلاء للتَّمكن من الوصف، وهذا يعني: يؤخذ في المشي، ولا تظهر الزينة، بل هو مبالغ فيه في التواضع و **(الاستحياء)** مبالغة في الحياء(316) .

(426) انظر: أبو حيان، المصدر السابق، ج 8، ص 298- 299 .

(315) انظر : الرازي، فخر الدين، المصدر السابق، ج 24، ص 591.

2.الكلام الجامع المانع: في قوله تعالى:{ **إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ}**[القصص: 26] في هذه الآية العديد من الفنون و بالتالي دعا علماء البلاغة أنه هو الكلام الجامع المانع الحكيم الذي لا يزيد لأنه إذا اجتمعت هاتان الخصلتان في القائمة سلطتك والمتعهد لشؤونك وهما الكفاية والأمانة ، وذهب قولها مثلاً مضروباً في مرّ العصور. وفيه التعميم الذي هو ومناسب في مدح النساء للرجال من الثناء الخاص والحفاظ للتحشم والتصوّن و خاصة بعد أن فهمت الغرض من أبيها وهو تزويجها .

وهذا الإيهام من ابنة شعيب قد سلكته زليخا مع يوسف ولكن شتان ما بين الحياء والخجل والحياء الذي يستخدم ، ليس التكحل في العينين كالكحل حيث قالت: **{ما جزاء من أراد بأهلك سوءًا إلا أن يسجن أو عذاب أليم}**[يوسف: 25] وهي تعني ما جزاء يوسف مما أرادني من السوء إلا أن تسجنه أو تعذبه عذابا أليما، ولكنها أوهمت زوجها الحياء والخفر والتحدث عن عصمة منسوبا إليها الخنا إيذاناً منها بأن هذا الحياء منها الذي يمنعها الحديث عن أن هذه المسألة من رغبة يوسف ، وفي هذه الآية كما رأيت الإيجاز والمثل والتعميم والإيهام(317)

(316) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، المصدر السابق، ج 20، ص 103.

(317) انظر: محيي الدين درويش، المصدر السابق ،ج 7، ص 308- 309 .

2. خطاب الله للمشركين:

قال تعالى: **{قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ (71) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (72) وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (73) وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (74) وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ }**[القصص:71_75]

ولما قامت على القدرة الشاملة والعلم التام وأنه الإله وحده إن وحدوا أو ألحدوا هذه الأعلام على هذا النظام، أقام دليلاً دالاً على ذلك كله بما اجتمع فيه من العلم والحكمة وتمام القدرة، منبهاً على وجوب حمده مفصلاً لبعض ما يحمد عليه[318].

والمعنى في قوله تعالى : **{ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَداً إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ مَنْ إِلهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِياءٍ أَفَلا تَسْمَعُونَ}**[القصص: 71]

{قل} أيها الرسول لكي ينظرالناس ليعتبروا ويتعظوا ويراعوا مظاهر قدرتنا ورحمتنا، أخبرونى ماذا كان يحدث لكم إن جعل الله تعالى عليكم الزمان ليلاً دائماً إلى يوم القيامة، من إله غير الله تعا لى يأتيكم بنور تبصرون عن طريقه عجائب هذا الكون، تطلبون فيه المعيشة ،**{أَفَلا تَسْمَعُونَ}**[القصص:71] ما قمنا بتوجيه لكم لسماع الإدارة والتفاهم والنظر دليل لكم إلى طاعة الله تعالى وحده ، وشكره على نعمه [319]

وفي قوله تعالى {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ}[القصص:72]

{قل أرأيتم إن جَعَلَ الله عَلَيْكُمُ النهار سَرْمَداً إلى يَوْمِ القيامة}[القصص:72] بإسكانها في وسط السَّماء أو تحريكه في الأُفق ،و**{مَنْ إله غَيْرُ الله يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ}**[القصص:72] استراحة من متاعب الأشغال ولعل تجريد الضياء عن ذكر منافعه لكونه مقصوداً بذاته ظاهر الاستتباع

(318) البقاعي، المصدر السابق، ج 14، ص 342.

(319) انظر: محمد سيد طنطاوي، المصدر السابق ، ج 10، ص 432.

لما نيط به من المنافع **{أَفَلاَ تُبْصِرُونَ}**[القصص:72] هذه الفائدة الظاهرة، والتي ليست مخفية لأولئك الذين لديهم رؤية [320].

و قال الزمخشري (فإن قلت:هلاّ قيل: بنهار تتصرفون فيه، كما قيل: بليل تسكنون فيه؟ قلت ذكر الضياء وهو ضوء ،الشمس: لأن المنافع التي تتعلق به متكاثرة، ليس التصرف في المعاش وحده، والظلام ليس بتلك المنزلة، ومن ثمة قرن بالضياء {أَفَلا تَسْمَعُونَ }لأن السمع يدرك ما لا يدركه البصر من ذكر منافعه ووصف فوائده، وقرن بالليل **{أَفَلا تُبْصِرُونَ}**[القصص:72] ، لأن غيرك يبصر من منفعة الظلام ما تبصره، أنت من السكون)[321].

{وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}[القصص:73]، هو تعقيب على الآيتين السابقتين، ورد على ما سئل عنه المشركون، ، وساعدهم على الإجابة عليه، فالله تعالى لم يرد أن يجعل الليل سرمداً ، أو النهار سرمدا، ولكن جعل الليل والنهار، و متصلان إلى بعضهم البعض ، ولم يجعل أحدهم وجوداً من دون الآخر، و رحمة منه سبحانه، بعباده، وإحساناً إليهم.

وقال تعالى **{لِتَسْكُنُوا فِيهِ}**[القصص:73] ضمير في {فيه} يعود إلى الليل. هذا هو إشارة على أن الليل على الرغم من الظلام ، فإنه يحمل معه السكن، والهدوء والاستقرار، والراحة، بعد العمل خلال النهار والضمير في الآية {مِنْ فَضْلِهِ} يعود إلى لفظ الجلالة، أي من فضائل الله ، والسّعي و الشغل نعمة الله، يكون في جميع الأوقات ، فى النهار، وفي الليل، ولذلك لم يكن ملزماً بالظروف، كما أنه قيد السكن[322].

{وَيَوْمَ يُنادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ * وَنَزَعْنا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً فَقُلْنا هاتُوا بُرْهانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ }[القصص:74_75]

وقوله تعالى: **{وَيَوْمَ يُنادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ }**[القصص:74] أي : كرر ذكر النداء للمشركين لزيادة التقريع والتوبيخ، لقد نزعنا، من كل أُمَّة شهيدا، يعني رسولهم

(320) انظر: أبو السعود، المصدر السابق ، ج 7، ص 23.

(321) الزمخشري، المصدر السابق ،ج 3، ص 429.

(322) انظر: عبد الكريم يونس الخطيب ، المصدر السابق ، ج 10، ص 379.

الذي أُرسل إليهم كما قال فكيف نأتي من كل أمة بشهيد؟ **{فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ}**[القصص:75] ، أي : حجتكم بأَنَّ معي شريكاً ، ويعلمون أن الحقيقة التوحيد ،للهِ سبحانه وتعالى ، وفقدوا ما كانوا يخترعون، في هذا العالم(323).

البلاغة :

1. المناسبة : في قوله تعالى: **{أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا}** الى قوله: **{أفلا تبصرون}** [القصص: 71_72] ، في هذه المناسبة ضربان: مناسبة من حيث و المعاني ومناسبة في الألفاظ ، فمن حيث المعنى هو بدء المتكلم بمعنى ،ومن ثم إكمال كلماته بما يناسبه معنى دون لفظ، فإنه سبحانه لما أسند جعل الليل سرمداً إلى يوم القيامة لنفسه وهو القادر الذي جعل الشيء لا يمكن لأي شخص آخر أن يقاوم قال **{أفلا تسمعون}** بمناسبة سماع الجانب المظلم من جهة صلاحية الليل للسماع دون رؤية عدم وجود تأثير البصر في الظلام، ولما أسند جعل النهار سرمدا الى يوم القيامة لنفسه ، وكأنه لم يخلق ليلاً البتة قال في فاصلة هذه الآية **{أفلا تبصرون}** لمناسبة ما بين النهار والإبصار(324).

2. اللف والنشر المرتب: **{وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اليل والنهار}** جمع الليل والنهار ثم قال **{لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ}**[القصص:73] فأعاد السكن إلى الليل، والابتغاء لطلب الرزق إلى النهار، ويسمى هذا عند علماء البديع اللف والنشر المرتب، لأن الأول عاد على الأول، والثاني عاد على الثاني وهو من المحسنات البديعية(325) .

وفي قوله تعالى: **{وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ}**[القصص:74] في هذه الآية طريقة اللف، في تكرير التوبيخ باتخاذ الشركاء: إيذان بأن لا شيء أجلب لغضب الله من الإشراك به، كما لا شيء أدخل في مرضاته من توحيده(326).

---

(323) انظر: محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي ، معالم التنزيل في تفسير القرآن أو تفسير البغوي، ج 3، ص 542.

(324) انظر: محيي الدين درويش ، المصدر السابق ، ج 7، ص 369.

(325) الصابوني ، المصدر السابق ، ج 2، ص 412.

(326) محمود صافي، المصدر السابق ، ج 20، ص 291.

3. صحة المقابلات:

وجاءت النهار و الليل في بداية الخطاب وهم ضدان وجاء السكون والحركة في عجزه وهم الأضداد ومقابلة كل جانب من الطرف الآخر على النظام ، وعبّر سبحانه وتعالى عن الحركة بلفظ الإرداف فاستلزم الخطاب الكثير من المزايا على المقابلة والذي أوجب العدول عن لفظ الحركة إلى لفظ ابتغاء الفضل كون الحركة تكون لمصلحة و مفسدة وابتغاء الفضل حركة لمصلحة دون مفسدة.

والسبب في معقولية العقل ، وسلامة الحسّ ويستلزم إضاءة الطرف الذي يقع فيه حركة محددة واقعة فيه ليهتدي المتحرك الى بلوغ المآرب ووجوه المصالح ويتقي أسباب المعاطب، والآية سيقت للاعتداد بالنعم فوجب العدول عن لفظ الحركة إلى لفظ هو ردفه وتابعه ليكون بيان جيد، وشملت هذه الكلمات بعض الفوائد والمصالح التي لو عددت بألفاظها الموضوعة ، لا حاجة الى ألفاظ كثيرة.

لأن هذا الكلام حصل على هذا السبب عدة أنواع من الجمال ألا تراه سبحانه وتعالى جعل العلة في وجود النهار والليل لتلقي فوائد الإنسان حيث قال **{لتسكنوا} و{لتبتغوا}** بلام التعليل فجمعت هذه الكلمات المقابلة والتعليل والإشارة والإرداف والائتلاف وحسن النسق وحسن البيان لمجيء الكلام فيها متلاحما آخذة أعناق بعضه بأعناق بعضه، ثم أخبر بالخبر الصادق أن جميع ما عدده من النعم التي هي من لفظي الإشارة والإرداف بعض رحمته حيث قال بحرف التبعيض (ومن رحمته) وكل هذا في بعض آية عدتها إحدى عشرة لفظة [327] .

(327) انظر: محيي الدين درويش، المصدر السابق ، ج 7، ص 370-371.

3. قصة قارون:

أ - بغيه على قوم موسى واغتراره بماله

قال تعالى: **{ إِنَّ قارُونَ كانَ مِنْ قَوْمِ مُوسى فَبَغى عَلَيْهِمْ وَآتَيْناهُ مِنَ الْكُنُوزِ ما إِنَّ مَفاتِحَهُ لَتَنُوأُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (76) وَابْتَغِ فِيما آتاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيا وَأَحْسِنْ كَما أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (77) قالَ إِنَّما أُوتِيتُهُ عَلى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعاً وَلا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ}**[القصص: 76_78]

قارون: هو قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب عليه السلام ، من قوم موسى كان ابن عمه لأن موسى هو ابن عمران بن يصهر بن قاهث، وكان أيضا ابن خالته، وممن آمن به[328]، قوله تعالى: **{فَبَغى عَلَيْهِمْ}**[القصص :76] فيه خمسة أقوال:

أحدها: هو أنه جعل لبغي جعلاً على أن تقذف موسى من تلقاء نفسها، ففعلت ذلك ، فاستحلفها موسى على ما قالت، فأخبرته بقصتها، فكان هذا بغيه، قاله ابن عباس.

الثاني: قاله الضحاك البغي: أي أنه الكفر في الله سبحانه وتعالى.

الثالث: وقال قتادة بالكبر.

الرابع: قال عطاء الخراساني، وشهر بن حوشب : أنه زاد في طول ملابسه شبراً.

الخامس: قال الماوردي: أنه خدم فرعون فتعدّى على بني إسرائيل وظلمهم [329]، وقوله: **{وَآتَيْنَاهُ من الْكُنُوز مَا إن مفاتحه}**[القصص: 76] فيه قولان:

أَحدهما: خزائنه، وهو مثل قوله تعالى**{وَعِنْده مفاتح الْغَيْب}**[الانعام :59] أَي: خزائن الغيب ،و**الثّاني**: أَن المفاتح هو مقاليد الخزائن.

---

(328) وهبة بن مصطفى الزحيلي، المصدر السابق ، ج 20، ص 158.

(329) انظر: ابن لجوزي، أبو الفرج ، المصدر السابق ،ج 3، ص 392.

ولكل منهم: أَن كل مفتاح كان على قدر أصبع ، وقيل: أَربعون بغلة، وقال: تحمله أربعين رجلا، وقوله {لتنوء} قال أَبو عبيدة : أَي تثقل العصبة هذا المقلوب، وتقديره هو: إن العصبة لتنوء بها، يقال: ناء فلان بكذا أَي: نهض به مثقلًا، ويقال معناه: لتنوء بالعصبة وأما العصبة ففيها أقاويل: قال : بعضهم: ستة أَو سبعة وقال :إنهم سبعون رجلا، والآخر: أَربعون رجلا، وقال بعضهم: من العشرة إلى الأَربعين ، وقال بعضهم: عشرة؛ لأَن إخوة يوسف قالوا: ونحن عصبة، وقد كانوا عشرة. والعصبة في اللُّغة هم: الناس الَّذين يعصبون بعضهم ببعض، وقوله: **{بالعصبة أولى الْقُوَّة}**[القصص:76] أَي: أولي الشدَّة[330] ، ومن المرجح: أن المقصود آلة الفتح هنا عن لمواقفها مع عجزهم عن حملها ، أما الخزائن فليست طغت على ذلك.

وأَحسن ما قيل في (لتنوء به العصبة) أَي تميلهم بثقلها، فلمَّا انفتحت التَّاء دخلت الباء لتنوء بالعصبة ، فجعل العصبة تنوء أَي تنهض متثاقلة، كقولك قم بنا أَي اجعلنا نقوم[331].

وقوله تعالى {إِذْ قالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ}[القصص: 76] وقال انه أظهر الفخر والفرح في ما كان عليه قال له قومه من بنى إسرائيل: لا تظهر الفرح مع كثرة مالك ، فإنه يجعلك تتكالب على جمع حطام العالم ، وتتلهى عن شؤون الآخرة، وتفعل ما يرضي ربك ثم أنّ الفرح مانع محبة الله و موجب لبغضه.

وقال:**{إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ}**[القصص:76] أي إنه سبحانه و تعالى لا يكرم فرحة الزينة من العالم ولا يقرّبهم من جواره، ولكن يكرههم ، فقال: لا تفرح في العالم إلا من الرضى والطمأنينة إليها ،، ولكن من يعلم أنه أنه سيغادر قريبا، فلا يفرح بها [332].

وفقا للباحثة: فإنه يشمل موسى (عليه السلام) والصالحين من قومه لأن موسى (عليه السلام) هو أول من يقدم بالنصح والتوجيه وتابعه الآخرون له ، والمراد بالقوم بعضهم إما

(330) انظر: ابو المظفر، السمعاني، المصدر السابق، ج 4، ص 155.

(331) القرطبي، المصدر السابق، ج 13، ص 312.

(332) انظر: المراغي، تفسير المراغي، المصدر السابق ،ج 20، ص 93 - 94.

جماعة منهم وهم أهل الموعظة وإمَّا موسى (عليه السلام) أُطلق عليه اسم القوم لأنَّ أقواله قدوة للقوم(333).

وفي قوله تعالى{ **وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ** }[القصص: 77]

وقوله: **{وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا}**[القصص:77] أي : استخدام ما أعطاه الله لكم من هذه الثروة العظيمة والنعمة ، في طاعة الله والقرُّب منه من قبل أنواع القرابة، التي يحصل لك بها الثَّواب في الدار الآخرة. **{وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا}**[القصص:77] أي: ما سمح الله لهم من المشارب والمآكل والملابس والمساكن والمناكح، فإنَّ لربك عليك حقا، ولنفسك عليك حقًّا، ولأهلك عليك حقاً ،**{وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ}**[القصص:77] أي : أحسن إلى خلقه كما أحسن هو إليك **{وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأرْضِ}**[القصص:77] أي: لا تكن همَّتك بما أنت فيه أن تفسد في الأرض، وتسيء إلى خلق الله **{إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ}**[القصص:77] أي إن الله لايحب سوء أفعالكم ولا الفساد في الأرض(334).

وفي قوله تعال **{قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ}**[القصص:78]

{قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ}[القصص:78] أي : المال**{على عِلْمٍ عِنْدِي}**[القصص:78] أي على استحقاق لما عندي من العلم الذي فُضلتُ به على الناس وهو علم التوراة أو علم الكيمياء وكان يأخذ الرصاص والنحاس فيجعلهما ذهباً أو العلم بوجوه المكاسب من التجارة والزراعة وعندي صفة العلم(335)

ويقول الله تعالى عن جواب قارون لشعبه، عندما نصحه ووجهه إلى الخير **{قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي}**[القصص:78] أي: أنا لا أفتقر إلى ما تقولون، ولكن الله أعطاني هذا المال لعلمه أنني أستحق له وحبه لي قديره ، ولكن أُعطيته لمعرفة الله أنني أهل له، وهذا كقوله

(333) ابن عاشور، التحرير والتنوير، المصدر السابق ، ج 20، ص 177.

(334) انظر: أبو الفداء القرشي، المصدر السابق ، ج 6، ص 253- 254 .

(335) النسفي، أبو البركات، المصدر السابق ، ج 2، ص 657.

تعالى: **{فَإِذَا مَسَّ الإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ}**[الزُّمَر: 49] أَي: على علم من الله بي، وكقوله تعالى**{وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي}**[فُصلت: 50] أَي: هذا أَستحقه.

وقد روي عن بعضهم أَنَّه أَراد: **{إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي}**[القصص:78] أَي: إِنَّه كان يعني علم الكيمياء: وهذا القول ضعيف؛ لأَنَّ علم الكيمياء في نفسه علم باطل؛ لأَنَّ قلب الأعيان لا يقدر أَحد عليها إلا الله عز وجل(336)، قال الله: **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ}** [الْحَجّ: 73]

وفي الآية: **{أَوَلَمْ يَعْلَمْ}**[القصص:78] رد على هذا العلم الذي يدعيه، وأنه على بينة من الجهل بعينه، وأنه إذا كان علماً حقا، لعرف ما حدث بالظالمين المفسدين في كل أمة وكل جيل عندما مشى في طريقهم ، وسلك طريقهم..!

و قال الله تعالى: **{وَلا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ}**[القصص:78] أي : إذا أخذ الله المجرمون بجريمتهم في هذا العالم ، وأنزل بهم البلاء، وسلط عليهم النقم- أخذهم بغتة، على غير توقع منهم، حيث لا يسألون عما هم فيه من ضلال، ولا يدعون إلى موقف المساءلة في هذه الدنيا.. وهذا موقف، يوم يقوم الناس لرب العالمين(337).

البلاغة :

1. جملة **{فَبَغَى عَلَيْهِمْ}**[القصص:76] معترضة بين جملة **{إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى}**[القصص:76] وجملة وآتيناه من الكنوز، والفاء فيها للترتيب والتَّعقيب، أَي لم يلبث أَن بطر النِّعمة واجترأ على ذوي قرابته، للتَّعجيب من بغي أَحد على قومه (338).

2. المبالغة : في قوله تعالى**{ ما إِنَّ مَفاتِحَهُ لَتَنُوأُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ}**[القصص:76]

(336) انظر: أبو الفداء القرشي، المصدر السابق ، ج 6، ص 254.

(337) انظر: عبد الكريم يونس الخطيب، المصدر السابق ،ج 10، ص 388.

(338) ابن عاشور، التحرير والتنوير، المصدر السابق ،ج 20، ص 176.

وصف كنوز قارون، حيث ذكر المجموعة ، كمجموعة مفاتيح ، وذكر النوء والعصبة وأولي القوة. قيل كانت تحمل مفاتيح خزائنه ستون بغلة، لكل خزانة مفتاح. هذه المبالغة في القرآن هي أفضل المبالغة والأكثر غرابة.

3. بلاغة التعليل: وفي قوله: **{إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لاَ تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْفَرِحِينَ}**[القصص: 76] حسن تعليل ، جميل بجمله **{إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْفَرِحِينَ }**[القصص:76] لأن الفرح المحض في العالم من حيث أنها دنيا مذموم على الإطلاق، وأي فرح في شيء ضئيل حائل(339).

والفرح المنهي عليه هو الفرح بالدنيا الزائلة وبالعرض الفاني، أما الفرح بالله وبرضاه فهو مطلوب قال تعالى**{قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ}**[يونس:58]، وقال تعالى: **{ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ}**[المطففين: 26] ففرح قارون فرح أدى الى البطر والجحود والكبر فهو المنهي عنه لأنه فرح بشيء زائل من حطام الدنيا الفانية.

4. جناس الاشتقاق(340)، في قوله تعالى : **{ لاَ تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْفَرِحِينَ}**[القصص:76] ، **ومثله {الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ }**[القصص:77]

5. التتميم : في قوله تعالى **{وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيا}**[القصص:77] تتميم لا بد منه لأنه إذا لم يغتنمها للعمل في الآخرة لم يكن له نصيب في الآخرة(341).

6. وفي الاية : **{لَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ}**[القصص: 77] عطف للتَّحذير من خلط الإحسان بالفساد، فإن الفساد ضدُّ الإحسان، فالأمر بالإحسان يقتضي النَّهي عن الفساد ولكن ينص على أنَّه بسبب وجود العديد من الموارد الخيرية، قد تضيع لأنه مع الفساد إساءة استخدام شيء مع الصدقة إلى للأشياء صدقة.

وجملَة **{ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ }**[القصص :77] علة للنَّهي عن الإفساد، لأَنَّ العمل الذي لا يحبه الله لا يجوز لعباده القيام به عمله، و كان قارون موحدًا على دين إسرائيل ،لكنه كان متشككا في حقيقة تواريخ موسى وفي تشريعه(342).

(339) انظر: محيي درويش، المصدر السابق ،ج 7، ص 380 .

(340) الصابوني، المصدر السابق، ج 2، ص 412.

(341) انظر: محمود صافي، المصدر السابق ، ج 20، ص 294.

ب - بعض ظهور بغي لقارون و كبريائه:

قال تعالى: **{ فَخَرَجَ عَلى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَياةَ الدُّنْيا يا لَيْتَ لَنا مِثْلَ ما أُوتِيَ قارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (79) وَقالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَن آمَنَ وَعَمِلَ صالِحاً وَلا يُلَقَّاها إِلاَّ الصَّابِرُونَ (80) فَخَسَفْنا بِهِ وَبِدارِهِ الْأَرْضَ فَما كانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَما كانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ (81) وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنا لَخَسَفَ بِنا وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكافِرُونَ }** [القصص:79_83]

فقال تعالى **{فَخَرَجَ على قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ}** [القصص:79] أي: خرج قارون على شعبه في عرض الزينةٍ وأكملها، وقال المفسرون: خرج ذات يوم في زينةٍ كبيرة مع أتباعه ،يرتدون ملابس الذهب والحرير، على الخيولٍ مطلية بالذهب، ومع العبيد و الغلمان في موكبٍ حافلٍ باهر **{قَالَ الذين يُرِيدُونَ الحياة الدنيا ياليت لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِيَ قَارُونُ}** [القصص:79] عندما رأى الإيمان الضعيف ممّن تخدعهم العالم مع بريقها وزخرفها وزينتها قالوا: يا ليت لنا مثل هذا الثراء والغنى الذي أُعطيه قارون **{إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ}** [القصص:79] أي: ذو نصيب وافرٍ من ، **{وَقَالَ الذين أُوتُواْ العلم}** [القصص:80] أي : وقال لهم أهل الحكمة من العلم و الاستقامة **{وَيْلَكُمْ ثَوَابُ الله خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً}** [القصص:80] أي : ارتدعوا وانزجروا عن مثل هذا الخطاب فإن جزاء الله لعباده المؤمنين الصالحين أفضل من ما تراه وترغبون في حال قارون (343)

قال الزمخشري: أصل {وَيْلَكُ} [القصص:80]، (أصله الدعاء بالهلاك، ثم استعمل في الزجر والردع والبعث على ترك ما لا يرتضى، كما استعمل: لا أبا لك. وأصله الدعاء على الرجل)(344).

{وَلا يُلَقَّاها إِلَّا الصَّابِرُونَ} [القصص :80] أي: ولا تتبعها هذه النصيحة، ولا تعمل إلا الصبر لأداء أعمال العبادة ، وتجنب المحرمات ، ورضا بقضاء الله فى كل ما قسم من الفوائد والمضار، وأمضى أمواله في كل ما هو السعادة لنفسه والمجتمع ، للحفاظ على مجد أمته ، ورفع إرادته

(342) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، المصدر السابق، ج 20، ص 180.

(343) انظر: الصابوني، المصدر السابق، ج 2، ص 410.

(344) الزمخشري، المصدر السابق ،ج 3، ص 432.

بين الأمم، للقيام بكل ما هو مفيد وقوة ، وإعلاء شأنها، وبذا ينال حسن الأحدوثة بين الناس، ويلقى المثوبة من ربه.

وفي قوله تعالى {فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ}[القصص: 81] أي : فزلزلت به الأرض وابتلعته جزاء بطره وعتوّه، بسبب التعالي والتغالي فى الزينة، و في هذا درس لأولئك الغافلين من الناس الذين غرقتهم الحياة الدنيا في كل زمانه ومكانه (345).

{فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللهِ وَمَا كَانَ مِنَ المنتصرين }[القصص:81] أي : ما كان لديه أحد من الأنصار والأعوان يدفعون عنه عذاب الله ،ولم يكن منتصراً لنفسه لنفسه **{وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ}**[القصص: 82]

أي : صار أولئك الذين يرغبون منزلتَه وغناه بالأمس القريب بعد أن رأوا ما نزل به من الخسف **{يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ الله يَبْسُطُ الرزق لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ}**[القصص:82] أي: ظهر عليهم وندم لما صدر عنهم من تفكير بالتمني:تعجبوا من عمل الله ، كيف يمد الله الرزق لمن يريد من عباده - حسب إرادته وحكمته - لاكرامته، وتقييد الرزق لمن يرغب من عباده - لحكمته وقضائه ابتلاءً!! (346)

وقال الزمخشري :**{وَيْكَأَنَّ}** كلمتان **{وَيْ}** مفصولة عن **{كأنَّ}** ، وهي كلمة تنبه على الخطأ وتندم. ومعناه: أن القوم قد تنبهوا على خطئهم في تمنيهم وقولهم**{يا لَيْتَ لَنا مِثْلَ ما أُوتِيَ قارُونُ }**[القصص :79] وتندموا ثم قالوا **{وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكافِرُونَ}**[القصص:82] أى: ما أشبه الحال بأن الكافرين لا ينالون الفلاح(347) .

(345) انظر: المراغي، تفسير المراغي، المصدر السابق، ج 20، ص99 - 100.

(346) انظر: الصابوني ، المصدر السابق ، ج 2، ص 411.

(347) الزمخشري ، الكشاف، المصدر السابق، ج 3، ص 434.

البلاغة:

{إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ }[القصص :79] : تأكيد الجملة بإن واللام لأن السامع شاكّ متردد، **{تَمَنَّوْا مَكانَهُ بِالْأَمْسِ}**[القصص:82]، كناية، كنّى عن الزمن الماضي القريب بلفظ بالأمس، **{يَبْسُطُ الرِّزْقَ}**[القصص: 82] ويقدر بينهما طباق(348).

(348) وهبة بن مصطفى الزحيلي، المصدر السابق، ج 20، ص 165، وانظر: الصابوني ، المصدر السابق، ج 2، ص 412.

4. قصة نبيّنا (صلّى الله عليه وسلم) مع قومه:

قال تعالى: **{إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرادُّكَ إِلى مَعادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جاءَ بِالْهُدى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ (85) وَما كُنْتَ تَرْجُوا أَنْ يُلْقى إِلَيْكَ الْكِتابُ إِلاَّ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ ظَهِيراً لِلْكافِرِينَ (86) وَلا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آياتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلى رَبِّكَ وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (87) وَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}** [القصص:85_ 88]

قوله تعالى: **{إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرادُّكَ إِلى مَعادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جاءَ بِالْهُدى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ}** [القصص:85]

إن فرض القرآن على النبي (صلى الله عليه وسلم) ، هو حمله حمولة كاملا.. حيث يستلم آياته من ربه، ويستقيم على كل آية منه، وينقله إلى الناس، ويجاهدهم به..والمعاد ، والجواب الذي يستجيب له الرسول، هو لقاء ربه، ويتلقى ما وعده الله به من رضا ورضوان ، لذلك يفرض هذا القرآن على الرسول الكريم، هو الرفيق الذي يعيش مع الرسول في هذا الدنيا، ويلقى الله به في الآخرة، حيث يأتي مع محصول كبير، من مغارس الإيمان التي غرسها من قبل القرآن في الأرض، كانت مثل هذه الأمة المسلمة، وسوف يأخذ مكانه في المحشر، وفي هذا يقول الله تعالى: **{يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُناسٍ بِإِمامِهِمْ}**[الإسراء:71] ويقول سبحانه: **{فَكَيْفَ إِذا جِئْنا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنا بِكَ عَلى هؤُلاءِ شَهِيداً}**[النساء:41] وقوله تعالى: **{قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جاءَ بِالْهُدى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ}** [القصص:85] هو لفت إلى هذا القرآن الذي فرض على النبي ، الذي هو التوجيه ، الذي اتبعه اهتدى ورشد، ومن خالفه ضل وغوى..[349] **{وَما كُنْتَ تَرْجُوا أَنْ يُلْقى إِلَيْكَ الْكِتابُ}** [القصص: 86] يعني: أن القرآن ينزل عليك (رحمة من ربِّك) يعني: فقط الكتاب رحمة من ربَّك. ويقال: في الآية تقديم، ومعناه:**{إن الذى فرض عليك القرآن}**[القصص:85] ،أي : جعلك نبياً، ينزل عليك القرآن ، وأنت لا تأمل قبل أن تكون نبياً بوحي إليك، رادّك إلى معاد، إلى مكة هي ظاهراً واضحة. ويقال: (إلا رحمة من ربك) يعني: ولكن دين ربك رحمة، واختارك لنبوته، وأنزل عليك الوحي. ثم قال: **{فَلا تَكُونَنَّ ظَهِيراً لِلْكافِرِينَ}**[القصص:86] يعني: مساعدة الكافرين عندما دعوه إلى دين آبائه.

(349) انظر: عبد الكريم يونس الخطيب، المصدر السابق، ج 10، ص 393- 394.

ثم قال عز وجل:**{وَلا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آياتِ اللَّهِ يعني: لا يصرفنك عن القرآن والتوحيد بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ}**[القصص:87]، يعني: بعد ما أنزل إليك جبريل (عليه السلام) بالقرآن **{وَادْعُ إِلى رَبِّكَ}**[القصص:88] يعني: ادع الخلق إلى توحيد ربك ولا تكونن من المشركين يعني: لا تكونن مع المشركين على دينهم قوله عز وجل:**{ وَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ}**[القصص:88] أي: لا تعبد إلا الله ، ثم قال الرب نفسه فقال: لا إله إلَّا هو يعني: لا خالق ولا رازق غيره كل شيء **{هالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ}**[القصص:88] يعني: كل عمل هالك لا ثواب له إلا ما يقصد به وجه الله سبحانه وتعالى.

ويقال: يتغير كل شيء ما عدا ممتلكاته ، ولا تتغير ممتلكاته، ولاتختفي إلى غيره أبداً**{ لَهُ الْحُكْمُ}**[القصص:88] يعني: له القضاء، وله الحكم فهو يحكم ما يريد**{وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}**[القصص:88] يعني: والمرجع في الآخرة يكافئكم بأعمالكم(350) .

البلاغة :

سر التنكير في قوله **{ إِلَى مَعَادٍ}**[القصص:85] للتفخيم كأن هذا المعاد قد أعد لك دون غيرك من البشر، قيل: المراد به مكة وهو يوم الفتح فمعاد الرجل بلده لأنه ينصرف منه فيعود اليه فالمعاد على هذا اسم مكان(351) ، الاستعارة في الآية **{يُلْقى إِلَيْكَ الْكِتابُ}**[القصص:86] وإلقاء الكتاب اليه وحيه به إليه. أَطلق عليه اسم الإلقاء على وجه الاستعارة(352)،**{وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}**[القصص: 87]

فعل الكون لمَّا جاء في سياق النَّهي ، كان سياق النَّهي مثل سياق النَّفي لأَنَّ النهي أَخو النَّفي في سائر تصاريف الكلام كان وقوع فعل الكون في سياقه مفيدًا تعميم النهي عن جميع أشكال المظاهرة للمشركين(353) و **{إِلَّا وَجْهَهُ }**[القصص :88] ، مجاز مرسل، من قبيل إطلاق الجزء وإرادة الكل، أي ذاته المقدسة (354) .

(350) انظر: السمرقندي، أبو الليث، المصدر السابق ، ج 2، ص 623.

(351) محيي الدين درويش، المصدر السابق، ج 7، ص 394.

(352) ابن عاشور،التحريروالتنوير، المصدر السابق، ج 20، ص 194.

(353) مصدر نفسه، ج 20، ص 195.

(354) وهبة بن مصطفى الزحيلي،المصدرالسابق، ج 20، ص 174.

الخاتمة

بعد الانتهاء من كتابة البحث ، فإنّه يثبت لنا بعض الحقائق التي توصل إليها البحث ، وفيما يأتي ذكرها :

1. وقد دعا الأنبياء أو الرُسل إلى الاسلام وهو توحيد الله ، وإفراده بجميع أنواع العبادات والقربات، وقد اتحدت أساليبها واتحدت أفكارها إلى حد التعبيرعنها في معظم الحالات في شكل تعبيرعن شكل ولا عجب في أنها جميعا تأتي من مصدر واحد وضوء واحد.
2. إن كلام نبيّ موسى (عليه السلام) أو قصصه ومحاوريه أكثرمن قصص الأنبياء في القرآن الكريم وربما السر في ان قصصه أكثر أهمية من غيرها تسلية لرسول(صلى الله عليه وسلم) ، بسبب حزنه على تكذيب قومه ، فما لاقاه موسى عليه السلام من الأذى أيضاً كبير جداً.
3. وعظ النمل ألتي وعظت بني جنسها للحذر من الحظر، وأخذ أسباب السلامة ، وكيف قرر النمل بالإجماع الفرار خوفاً من الدمار، لأنه يستفيد من الفوائد، ثم في مملكة النمل لعبرة أخرى، وهي كيف أن هذه المملكة تسودها عليها مبادىء التضامن والتعاون والإخلاص في العمل والصنعة الجيدة والتنظيم و بعيداً عن الكسل والخمول، ومن ثم مارأيناه من مبدأ حسن النية في وعظ النمل، والبحث عن عذر من الآخرين والحقيقة هي أن أمة غير متصلة في إدارتها بما يفعله هذا الحيوان العملاق هي أمة حمقاء.
4. وقد عالجت سور الطواسين أصول الدين من (التوحيد والرسالة والبعث) شأنها شأن سائر السورة المكية، التي تهتم بجانب العقيدة وأصول الإيمان.
5. إن الملكة بلقيس وعظمة قوتها علو شأنها ، مع ما أوتيته من ذكاء العقل، وسلامة الفطرة استمرت للوعظ وتلقت الحكمة في الدعوة إلى التوحيد من قبل سليمان (عليه السلام) فرقت بفساد الشرك ، وأعترفت بالوحدانية لله عز وجل.
6. ويتناول النص القرآني الرجال والنساء على مستوى واحد من خطاب الشرف، ويعترف بالقيمة الإنسانية للمرأة والرجل كخطاب مشرف.
7. جاءت البلاغة في القرآن الكريم بهذين المعنيين، فمن الأول قوله تعالى {وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّ }[يوسف 22] وهذا هو الوصول ، أما معنى الثاني أن يكون بليغاً بالنظر إلى صاحب البلاغ والقول له وهو أن القصد القائل أمراً فيرده على وجه حقيق أن يقبله المقول له ، كقوله تعالى {أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا} [النساء 63] .

8. الخطاب هو توجيه الكلام للآخرين ويكون منطوقاً أو مكتوباً، وخطابات، وخطب ويكون فعل خطب أيضاً بمعنى عبر عن رغبته في الزواج من امرأة بعينها ،والخطاب القرآني رسالة إبلاغية ربانية عالمية لجميع الناس، أنزله الله تعالى على نبيه **{لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا}** [الفرقان: 1].

9. في سورة القصص هي القصص الوحيدة في القرآن الكريم التى عرضت قصة سيدنا موسى (عليه السلام) من الحلقات الأولى من حياته ؛من الحمل والولادة وفترة الشباب وزواجه في مدين في هذا التفصيل إلى أن يصل إلى مرحلة البعثة.

10. وكذلك سورة القصص هي الوحيدة في القرآن الكريم التي قصة قارون بهذا التفصيل من حيث نسبه ومكانه في قومه وبغيه عليهم إلى هلاكه ونهايته. والله أسأل أن يجعل هذا الجهد في ميزان حسناتي ، وأن يجزي من أشرف عليه خير الجزاء ، والحمدلله الأول بلا بداية ، والآخر بلا نهاية ، والصلاة و السلام على أفصح الناس منطقاً ، و أثبتهم جناناً ... محمد صلى الله عليه وسلم.

المصادر و المراجع

القرآن الكريم

1) إبراهيم بن إسماعيل الأبياري، الموسوعة القرآنية، مؤسسة سجل العرب، ط 1405هـ.
2) إبراهيم بن طه احمد الجعلي ، نجلاء عبداللطيف كامل ، الجنة الداني في علم المعاني، ط 1، 2004م.
3) إبراهيم بن عمر بن حسن أبوبكر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسو، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، 1404هـ .
4) إبراهيم محمد الجرمي ، معجم علوم القرآن ، دار القلم، دمشق، ط 1، 2001.
5) ابن عطية الأندلسي، لأبي محمد عبدالحق بن عطية، تفسير ابن عطية المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، دار ابن حزم.
6) أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي ،تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، حققه يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط 1، 1998 م.
7) أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، ط 2، 1979.
8) أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، تفسير أبي السعود ،إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
9) أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي، فتحُ البيان في مقاصد القرآن، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا، بَيروت، 1992 م.
10) أبو العباس احمد بن محمد ابن عجينة، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق ، أحمد عبدالله القريشي رسلان، القاهرة ،ط 1419هـ .
11) أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ،تحقيق، الدكتور أحمد محمد الخراط،دار القلم، دمشق.

12) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، تفسير القرآن العظيم ، تحقيق ، سامي بن محمد بن محمد السلامة ، دار طيبه، ط 2، 1999م.
13) أبو الفرج جمال الدين عبدالرحمن ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، دار ابن حزم، بيروت، ط 1، 2002هـ.
14) أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مكتبة نزار مصطفى الباز.
15) أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار المعرفة، بيروت، ط 3، 2009م.
16) أبو المظفر، منصور بن محمد السمعاني، تفسير القرآن، تحقيق ،ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، السعودية، ط 1، 1997م.
17) أبو بكر محمود حوجي،رد الأذهان إلى معاني القرآن،الناشر، مؤسسة غومبي للتجارة، 1987م.
18) أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، المحقق: صدقي محمد جمال ، دار الفكر، بيروت 1420 هـ.
19) أبو زكريا محي الدين يحيى بن شرف النووي، تهذيب الأسماء واللغات، تحقيق، علي محمد معوض، عادل أحمد عبدالموجود، دار النفائس، بيروت، ط 1، 2005م.
20) أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء ،معاني القرآن، المحقق: أحمد يوسف النجاتي ، محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، ط 1.
21) أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، البرهان في علوم القرآن،المحقق :محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط 1، 1376 هـ ، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه ،ثم صوَّرته دار المعرفة، بيروت.
22) أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، اجتماع الجيوش الإسلامية على حرب المعطلة والجهمية، تحقيق ،زائد بن أحمد النشيري، دار عالم الفوائد - مكة المكرمة ، ط 1، 1431 هـ.
23) أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري ، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 3، 1420 هـ .

24) أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط 1، 1404 هـ.

25) أبو محمد محيي السنة البغوي ،معالم التنزيل في تفسير القرآن، تفسير البغوي،تحقيق،عبدالرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي،بيروت، ط 1، 1420هـ .

26) أبو محمد مكي بن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسير وأحكامه، وجميل من فنونه علومه، تحقيق الشاهد اليوشيخي، جامعة الشارقة، ط 1، 2008م.

27) أبوبكر عبد القاهر عبدالرحمن الجرجاني ، درج الدرر في تفسير الآي والسور،محقق،طلعت صلاح الفرحان، محمد أديب شكور، دار الفكر عمان، ط 1-2009م .

28) أبوبكر محمود جومي، رد الأذهان إلى معاني القرآن ،مؤسسة غومبي للتجارة، 1987 م .

29) أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، إبن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط 1، 1997م.

30) أبي عبدالله محمد بن أحمد أبوبكر القرطبي ،الجامع لأحكام القرآن، تحقيق عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1، 2006م.

31) أبي يعقوب يوسف إبن أبي بكر محمد السكاكي، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1983.

32) إحسان عباس، ديوان كثرة عزة، دار الثقافة، بيروت.

33) أحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي، من البلاغة القرآن،نهضة مصر، القاهرة ،2005 م .

34) أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي، ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحادو والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ مِنْ آي التنزيل، دار الكتب العلمية،بيروت.

35) أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، جواهر البلاغة في أدبيات وإنشاء لغة العرب، ط 1، 2008م.

36) أحمد حسن يسع ، ديوان ذي الرمة، ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1995م.

37) أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، المكتبة مصطفى البابي الحلبي، ط 1، 1946م.

38) أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 3، 1993م.
39) أحمد مطلوب أحمد الناصري الصيادي الرفاعي ،أساليب بلاغية، الفصاحة - البلاغة - المعاني وكالة المطبوعات - الكويت ،ط ، 1980 م.
40) أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مكتبة لبنان، ط 2.
41) إدريس حمادي، الخطاب الشرعي طرق استثمار، المركز الثقافي العربي، ط 1، 1994م.
42) إنعام فوال عكاوي، المعجم المفصل في علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2، 1996م .
43) أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي أبو البقاء،الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 2، 2012م.
44) جلال الدين السيوطي، تناسق الدرر في تناسب السور، تحقيق عبدالقادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1986م.
45) جلال الدين محمد بن أحمد المحلي وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تفسير الجلالين، دار الحديث، القاهرة ،ط 1.
46) جلال الدين محمد بن عبد الرحمن الخطيب القزويني،الايضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع. المحقق: إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية، 2003م .
47) جمال الدين القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد بن قاسم ،تفسير القاسمي، محاسن التأويل، تحقيق محمد باسل، عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1418هـ.
48) حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998م.
49) حسن عز الدين بن حسين بن عبد الفتاح أحمد الجمل ، مخطوطة الجمل - معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط 1، 2008 م.
50) خضر موسى محمد حمود، الخطاب والقسم في كتاب الله الحكم، عالم الكتب، بيروت، ط 1، 2008م .
51) خلود العموش،الخطاب القرآني دراسة العلاقة بين النص والسياق،جدار للكتاب العالمي.

52) الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق، عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 2003هـ .
53) سعدالدين مسعود بن عمر التفتازاني، المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، تحقيق عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 3، 2013م.
54) سعيد حوي الأساس في التفسير، دار السلام، القاهرة، ط 6، 1424هـ.
55) شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، المحقق : علي محمد الضّبّاع ،دار الكتاب العلمية ،1380 هـ .
56) شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي ، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير ،مطبعة بولاق (الأميرية)، القاهرة 1285هـ.
57) شهاب الدين السيد محمد الآلوسي ، روح المعاني، تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار أحياء التراث العربي، بيروت.
58) عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،ط 1394هـ/ 1974 م.
59) عبد القادر بن عمر البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ،تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ط 4، 1997م.
60) عبد الكريم يونس الخطيب ، التفسير القرآني للقرآن ، دار الفكر العربي ،القاهرة.
61) عبدالحق الكتابي، المغني معجم اللغة العربية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2، 2012م.
62) عبدالحميد بن محمد نراجعراية، المدخل إلى التفسير، مكتبة الزهراء ، ط 1، 1996م.
63) عبدالرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، معترك الاقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران)،دار الكتب العلمية ، بيروت، ط 1، 1988م.
64) عبدالرحمن بن ناصربن عبدالله السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المحقق،عبدالرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط 1، 2000م.
65) عبدالرحمن حسن جبنّكة الميداني، البلاغة العربية وأسسها وعلومها، وفنونها، دار الشامية، بيروت، ط 3، 2010م.

66) عبدالكريم بن هوزان بن عبد الملك القشيري ، لطائف الإشارات - تفسير القشيري،تحقيق، إبراهيم البسيوني،الهيئة المصريه العامه، المصر،ط 3.

67) عبدالكريم زيدان،المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة، مؤسسة الرسالة ،بيروت، ط 1 ،1998م.

68) عبدالهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط 1، 2004م.

69) علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم الخازن ، تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1990م.

70) علامة بن علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، تحقيق محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة.

71) علي بن محمد الآمدي، الأحكام في أصول الأحكام، دار الصميعي، ط 1، 2003م.

72) فيصل بن عبد العزيز بن فيصل ابن حمد المبارك الحريملي النجدي ، توفيق الرحمن في دروس القرآن، حققه عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم آل محمد، دار العاصمة، المملكة العربية السعودية - الرياض، ط 1، 1996 م.

73) كاظم الظواهري، بدائع الإضمار القصص في القرآن الكريم، ط 1، 1991م.

74) لطفي فكري محمد الجودي، جمالية الخطاب في النص القرآني، مؤسسة المختار، ط 1، 2014م .

75) مجدالدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي القاموس المحيط، محقق، أنس محمد الشامي، وزكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، 2008م.

76) مجدي وهبة، وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية، مكتبة لبنان، بيروت، ط 2، 1984م .

77) محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي – الخواط ، 1997 م.

78) محمد أحمد قاسم، و محيي الدين الديب،علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني) الناشر: المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس ، لبنان ،2003م.

79) محمد الأمين بن عبد الله الأرمي الهرري ،تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن ، تحقيق، هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت ، لبنان، ط 1، 2001م.

80) محمد الرازي الفخرالدين ابن العلامة ضياء الدين، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، دار الفكر 1981 م.

81) محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، الدارالتونسية 1984 م.

82) محمد بن إبراهيم الحمد ابن عاشور، ، التقريب لتفسير التحرير والتنوير، الرياض، دار ابن خزيمة، ط 2012م.

83) محمد بن أحمد بن مصطفى أبو زهرة، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي، ط. د .

84) محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري ، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول (صلى الله عليه وسلم) وسننه وأيامه، صحيح البخاري، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط 8، 1422هـ.

85) محمد بن جرير بن يزيد ، أبو جعفر الطبري، تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة ،ط 1، 2001 م.

86) محمد بن سوسف أبي حيان الاندلسي ، تفسير البحر المحيط ، تحقيق، عادل أحمد عبد الموجود ، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1992م.

87) محمد بن صالح العثيمين، تفسير القرآن الكريم سورة الشعراء، مؤسسة محمد بن صالح العثيمين الخيرية، ط 1، 1436هـ.

88) محمد بن عبدالرحمن القزويني، تلخيص المفتاح مكتبة البشرى، كراجي، ط 1، 2010م.

89) محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد التهانوي،موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق، علي دحروج، مكتبة لبنان، بيروت، ط 1، 1996م.

90) محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، فتح القدير، الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار المعرفة ، بيروت ، ط 4 ، 2007 م.

91) محمد بن عمر نووي الجاوي، مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد، محقق، محمد أمين الصناوي، دار الكتب العلمية، بيروت،ط 1، 1417هـ .

92) محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، المحقق: د. مجدي باسلوم ، دار الكتب العلمية - بيروت، ط 1، 2005 م .

93) محمد ثناء الله المظهري،تفسير المظهري،المحقق، غلام نبي التونسي، مكتبة الرشدية،الباكستان، ط 1، 1412هـ .

94) محمد حسين سلامة، الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط 1، 2002م

95) محمد رأفت سعيد، تاريخ نزول القرآن، دار الوفاء المنصورة، مصر، ط 1، 2002م.

96) محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الحسيني، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،1990 م.

97) محمد سيد طنطاوي ، التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، دار نهضة مصر للطباعة، القاهرة، ط 1.

98) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، المكتبة العصرية، بيروت، 1015م

99) محمد علي طه الدرة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه، دار ابن كثير، دمشق، ط 1، 2009م

100) محمد محمد أبو موسى ،البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية ،دار التضامن ،ط 2، 1988م.

101) محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب ، أوضح التفاسير، المطبعة المصرية ، 1383 هـ.

102) محمود بن أبي الحسن بن الحسين النيسابوري ، إيجاز البيان عن معاني القرآن ،تحقيق ، حنيف بن حسن القاسمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت ،ط 1، 1415 هـ.

103) محمود بن عبد الرحيم صافي، الجدول في إعراب القرآن الكريم المؤلف، دار الرشيد، دمشق ، مؤسسة الإيمان، بيروت، ط 4، 1418 هـ .

104) محيي الدين الدرويش، إعراب القرآن وبيانه، دار أرشاد، حمص، ط 3، 1992م.

105) مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم،محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي ،بيروت.

106) مصطفى بن عبدالله الشهير بحاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، المحقق، محمد شرف الدين بالنقايا، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

107) ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي الناشر: دار إحياء التراث العربي ، بيروت ط 1، 1418 هـ .

108) نصر بن محمد بن أحمد بن ابراهيم السمرقندي أبو الليث بحر العلوم (تفسير السمرقندي)، دار الكتب العلمية .

ÖZGEÇMİŞ

KİŞİSEL BİLGİLER

Adı Soyadı	Kawther Mahmood Ahmed
Doğum Yeri	Erbil – Irak
Doğum Tarihi	9-5-1984

LİSANS EĞİTİM BİLGİLERİ

Üniversite	Salahadin üniversitesi
Fakülte	Şaria Fakültesi
Bölüm	Şaria Bölümü

KATILDIĞI

Kurslar	
Projeler	

İLETİŞİM

Adres	Erbil/ Irak
E-mail	**Kawthermahmood11@gmail.com**
Telefon	+9647504533219

السيرة الذاتية_ CV

الاسم : كوثر محمود أحمد

الجنسية : العراقية

تاريخ الميلاد : 9-5-1984

النشأة : اربيل

البريد الالكتروني : Kawthermahmood11@gmail.com

الرقم الهاتف :9647504533219+

المؤهلات العلمية :

حصلتُ على شهادة البكالوريوس في كلية العلوم الاسلامية ، قسم الشريعة، جامعة صلاح الدين في محافظة اربيل، سنة التخرج ٢٠٠٨م .